المقامات والأحوال عند عبد الرحمن اللجائي
(المتوفي ٥٩٩ هـ)

إعداد

د. ياسر البتانوني

أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد

كلية الآداب – جامعة المنوفية

المستخلص:

يتعرض هذا البحث بالدراسة لآراء عبد الرحمن اللجائي في المقامات والأحوال، إذ إنه اهتم بها اهتماما كبيرا؛ لكونها تمثل جوهر الطريق الصوفي، الذي يسلكه المريد للوصول إلى معرفة الله تعالى.

فبالنظر إلى مؤلفات اللجائي الصوفية التي وصلت إلينا؛ نجده أفرد لها العديد من الفصول والمباحث؛ ليقدم تصوره الخاص لها؛ من خلال تجربته الصوفية؛ فجاءت مبحثا رئيسا في هذه المؤلفات، وخصوصا في كتبه: قطب العارفين، وشمائل الخصوص، ومحجة السعادة، وشمس القلوب .

وقد هدفت من وراء هذا البحث؛ أن أبين هذا الجانب من فكر عبد الرحمن اللجائي الصوفي، والذي يعبر عن تجربة صوفية عميقة، عاشها اللجائي، ودوَّنها في كتبه؛ ليسترشد بها مريدوه في سلكهم للطريق ؛ إذ إن هذا الجانب من فكره الصوفي، لم يهتم به الباحثون من قبل.

وقد اعتمدت في هذا البحث، على المنهج التحليلي والمنهج النقدي والمنهج المقارن. فأما الاعتماد على المنهج التحليلي، فذلك؛ لأنني قمت بتحليل آراء اللجائي، في المقامات والأحوال؛ من خلال مؤلفاته. وأما الاعتماد على المنهج النقدي، فذلك؛لأنني قمت بنقد بعض آرائه في المقامات والأحوال والتي ابتعد فيها عن الاعتدال. وأما الاعتماد على المنهج المقارن، فذلك؛ لأنني- كلما أمكن- قارنت بين آراء اللجائي وغيره من المتصوفة.

الكلمات الافتتاحية: (المقامات ؛ الأحوال ؛ اللجائي ؛ تجربة صوفية).

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين رسول الإنسانية وخاتم الأنبياء وسيد المرسلين، سيدنا محمد المبعوث رحمه للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين...وبعد.

فإنه مما لا شك فيه أن مبحث المقامات والأحوال عند المتصوفة؛ يعد من المباحث الرئيسة لديهم؛ ذلك لأن المقامات والأحوال، تمثل جوهر الطريق الصوفي، الذي يسلكه المريد للوصول إلى معرفة الله تعالى؛ ولذلك اهتم المتصوفة بالمقامات والأحوال اهتماما كبيرا؛ فأفردوا لها الأبواب والفصول والمباحث في مؤلفاتهم ورسائلهم؛ للحديث عنها ووصفها وتصنيفها، فجاءت مبحثا رئيسا فيما تركوه لنا من مؤلفات.

ولقد كان عبد الرحمن بن يوسف اللجائي، الذي عاش في فاس بالمغرب في القرن السادس الهجري، والمتوفى بجبل لجاية بشمال فاس ٥٩٩ هـ، أحد هؤلاء المتصوفة، الذين اهتموا بالمقامات والأحوال.

فقد أفرد لها في مؤلفاته الصوفية التي بين أيدينا، العديد من الأبواب والفصول والمباحث؛ لوصفها وتصنيفها؛ من خلال ما مر به في تجربته الصوفية؛ فجاءت عنده مبحثا رئيسا، وخصوصا في مؤلفاته: قطب العارفين، وشمائل الخصوص، ومحجة السعادة، وشمس القلوب الذي يعد أكثر مؤلفاته بحثا في المقامات والأحوال.

لهذا فإني قد آثرت أن أقوم بهذا البحث؛ لدراسة المقامات والأحوال عند اللجائي؛ في محاولة مني لتجلية هذا المبحث المهم عنده؛ إذ إنه لم يحظ بالاهتمام من الباحثين.

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي والمنهج النقدي والمنهج المقارن. فأما الاعتماد على المنهج التحليلي، فذلك ؛ لأننا قمنا بتحليل آراء اللجائي، في المقامات والأحوال؛ من خلال مؤلفاته. وأما الاعتماد على المنهج النقدي، فذلك؛ لأننا قمنا بنقد بعض آرائه في المقامات والأحوال والتي ابتعد فيها عن الاعتدال. وأما الاعتماد على المنهج المقارن، فذلك؛ لأننا- كلما أمكن- قارنا بين آراء اللجائي وغيره من المتصوفة.

ويتألف هذا البحث من ثلاثة مباحث وخاتمة كالتالي:

أما المبحث الاول: فقد جعلته تمهيدا؛ تحدثت فيه عن أهمية المقامات والأحوال، والمعنى الاصطلاحي لهما، واختلاف المتصوفة في عددها، وأوصافها، وتصنيفها؛ طبقا لتجاربهم المختلفة.

وأما المبحث الثاني: فقد خصصته للحديث عن اهتمام اللجائي بالمقامات والأحوال، ومؤلفاته الصوفية التي خصصها لذلك.

وأما المبحث الثالث فقد خصصته للحديث عن المقامات والأحوال عند اللجائي، مفصلا القول في كل مقام وحال عنده، ومصنفا إياها؛ طبقا لما أورده في آخر مؤلفاته، التي تعبر عن تجربته الصوفية كما عاشها، وهو كتاب شمس القلوب.

وأخيرا تأتي الخاتمة: وقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من هذا البحث.

وإني لأرجو من الله العلي القدير؛ أن يحقق هذا البحث الهدف المرجو منه، والله الموفق لما فيه السداد، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المقامات والأحوال عند عبد الرحمن اللجائي[١]

المبحث الأول / تمهيد :

تعد المقامات والأحوال من المباحث الأساسية المهمة لدى المتصوفة؛ ذلك لأنها تمثل جوهر الطريق الصوفي الذي يسلكه المريد؛ للوصول إلى معرفة الله تعالى.

فالصوفية -على اختلافهم- يتصورون طريقا للسلوك إلى الله عز وجل، عبارة عن معارج ومنازل روحية، يفهم منها مسيرة السلوك ومدارج السائرين؛ إذ لكل سالك إلى الله تعالى حياته الفردية الخاصة ، وعالمه الروحي الذي يعيش فيه وحده ، وهذه الطريقة ليست سوى المعراج الروحي، وهي ما أطلقوا – الصوفية -عليها اسم السفر والسلوك والمعراج، وقسموها إلى مراحل أو منازل، سموها بالمقامات، كما سموا الأحداث النفسية والمغامرات الروحية التي تعرض لهم فيها باسم الأحوال[٢].

فالمقام والحال إذن هما: اصطلاحان يستخدمهما الصوفية؛ للتدليل على تدرج السالك للطريق الصوفي من مكانة إلى أخرى، ولما يتعرض له في تدرجه هذا في المقامات من أحوال؛ حتى يصل إلى غايته المنشودة للسعادة، والتي سلك الطريق من أجلها، وهي معرفة الله. وهذا ماأكده ابن خلدون؛ حينما قال: « ولا يزال المريد يترقي من مقام إلى مقام؛ إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة، التي هي الغاية المطلوبة للسعادة...فالمريد لابد له من الترقي في هذه الأطوار..وتنشأ الأحوال والصفات نتائج وثمرات، ثم تنشأ عنها أخرى وأخرى، إلى مقام التوحيد والعرفان »[٣].

---

(١) (هو أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن اللَّجائي ، بفتح اللام وتشديدها وفتح الجيم، يرجع نسبه إلى قبيلة «لجاية» إحدى وأقدم قبائل شعب أوربة من شعوب البرانس الأمازيجية، التي سكنت إقليم تاونات بشمال فاس بالمغرب ،عاش في القرن السادس الهجري، وعاصر الفترة الأولى من قيام الدولة الموحدية، وتوفي في حياة الخليفة الموحدي يعقوب المنصور سنة ٥٩٩ هـ. له العديد من المؤلفات في التصوف، منها ماهو مطبوع مثل: كتاب « قطب العارفين »، الذي حققه الدكتور محمد الديباجي، وتم نشره بدار صادر ببيروت سنة ٢٠٠١، وكتاب «شمس المعارف» ، الذي حققه الدكتور محمد الديباجي، وتم نشره في دار صادر ببيروت سنة ٢٠٠٣، وكتاب «شمائل الخصوص» الذي حققه د/ آدم شاتاك وأحمد فورال ، وتم نشره في مجلة التصوف بجامعة صباح زعيم بإسطنبول بتركيا سنة ٢٠١٨. ومنها ماهو مخطوط مثل: كتاب «محجة السعادة»، وكتاب «عين الحقيقة»، وكتاب « تبصير القلوب »، وكلها لها نسخ بدار الكتب المصرية بالقاهرة) . انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج ٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١٥ ، ٢٠٠٢ ، ص ٣٤٢ . وانظر أيضا : عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١، ١٩٩٣ ،ص ١٢٨ . وكذلك : د/ محمد الديباجي ، مقدمة تحقيق كتاب قطب العارفين للجائي ، دار صادر ، بيروت، ط ١ ، ٢٠٠١، ص ١٣- ١٧. وكذلك انظر: الحسن اليوسي ، المحاضرات في الأدب واللغة، ج ١ ، تحقيق محمد حجي ، وأحمد الشرقاوي ، دار الغرب الأندلسي ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٦، ص ٢٦٧ – ٢٦٨ . وانظر أيضا:

Adem Çatak, Ahmet Vural : ‘Abdurraḥman b. Yūsuf al-Lijā‘ī and the Critical Edition Taḥqīq of His Work Titled Shaemā‘il al-Khuṣūṣ’s , Tasavvuf Dergisi , Volume 21, Issue 42, İstanbul Sabahattin Zaim Üniversitesi, Türkiye ,2018, P. 44 - 52 .

(٢) د/ أبو العلا عفيفي ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٣ ، ص ١٣٦ . وانظر أيضا: د/ مجدي محمد إبراهيم ، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، ص ٧٥ . (وتجدر الإشارة هنا إلى أن اسم المعراج الروحي، هو أشهر اسم للطريق الصوفي عند المتصوفة ؛ تشبها بحادثة المعراج النبوي الحسي). انظر: حسن أبو هنية ، الطرق الصوفية دروب الله الروحية التكيف والتجديد في سياق التحديث ، ترجمة منى علي أبو ريان، مؤسسة فريدريش أليبرت، عمَّان، الأردن ، ٢٠١١ ، ص ٥٢.

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٥١٧ – ٥١٨ .

والمقام عند الصوفية معناه فيما يرى الطوسي : « مقام العبد بين يدي الله تعالى، فيما يقوم فيه من العبادات، والمجاهدات، والرياضات، والانقطاع إلى الله عز وجل »[١].

وأما القشيري فيعرفه بأنه: « ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب، بما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب، ومقاساة تكلف. فمقام كل أحد: موضع إقامته عند ذلك، وماهو مشتغل بالرياضة له . وشرطه ألا يرتقي من مقام إلى مقام آخر، مالم يستوف أحكام ذلك المقام »[٢]؛ إذ لابد من استيفاء حقوق المراسم؛ فإنه من لم يستوف حقوق ما فيه من المنازل؛ لم يصح له الترقي إلى ما فوقه[٣].

وأما أبو حامد الغزالي فيعرفه بأنه هو: « الذي يقوم به العبد في الأوقات من أنواع المعاملات، وصنوف المجاهدات، فمتى أقيم العبد بشيء منها على التمام والكمال؛ فهو مقامه؛ حتى ينتقل منه إلى غيره »[٤].

وأما الحال فهو عندهم ، ما يحل في القلب من صفاء الأذكار، بدون مجاهدة أو تفكير، فهو ليس من طريق المجاهدات والعبادات والرياضات، إنه- كما يقول أبو القاسم الجنيد-: « نازلة تنزل على القلوب فلا تدوم »[٥]. أو كما يقول عبد الملك الخركوشي : « نازلة تنزل بالعبد في الخير؛ فيصفو له في الوقت حاله ووقته»[٦]. إنه « معنى يرد على القلب، من غير تعمد منهم، ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم، من طرب، أو حزن، أو بسط، أو قبض، أو شوق، أو انزعاج، أو هيبة، أو احتياج »[٧].

بعبارة أخرى كما يقول الهجويري في كشف المحجوب: « هو معنى يرد من الحق إلى القلب، دون أن يستطيع العبد دفعه بالكسب حين يرد، أو جذبه بالتكلف حين يذهب »[٨]؛ ولذا سمي سمي الحال حالا عند المتصوفة؛ لتحوله ، والمقام مقاما؛ لثبوته واستقراره[٩].

وواضح من تعريف المقام والحال عند المتصوفة؛ أنهم يفرقون بين المقام والحال تفرقة دقيقة. فالمقام عندهم يتصف بالثبوت، أما الحال فزائل. والمقام يحصل للسالك بكسبه وإرادته، على

---

(١) الطوسي ، اللمع ، تحقيق د/ عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة بمصر، سنة ١٩٦٠ ، ص ٦٥.

(٢) القشيري ، الرسالة القشيرية ، تحقيق د/ عبد الحليم محمود ، د/ محمود بن الشريف ، مطابع مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ١٣٢ .

(٣) انظر: عبد الرازق القاشاني ، لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام ، ج ٢ ، تحقيق سعيد عبد الفتاح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، مادة مقام ، ص ٣٢٥ . وانظر أيضا : الهجويري ، كشف المحجوب ، ج ٢ ، ترجمة د/ إسعاد عبد الهادي قنديل ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٠٩ .

(٤) الغزالي ، الإملاء على مشكل الإحياء ، تحقيق عبد المولى هاجل ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١ ، ٢٠٢٠، ص ١١٥ .

(٥) الطوسي ، اللمع ، ص ٦٦ .

(٦) عبد الملك الخركوشي ، تهذيب الأسرار ، تحقيق بسام محمد بارود ، أبو ظبي ، الإمارات ، ١٩٩٩، ص ٤٣٤.

(٧) القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ١٣٣ . وانظر أيضا: الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ٧٢ .

(٨) الهجويري ، كشف المحجوب ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ .

(٩) السهروردي ، عوارف المعارف ، ج ٢ ، تحقيق د/ عبد الحليم محمود ، د/ محمود بن الشريف ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٢٦٤ .

حين أن الحال وارد عليه، دون تعمد منه[١]. « فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود، وصاحب المقام ممكَّن في مقامه، وصاحب الحال مترقٍّ عن حاله »[٢].

وعلى الرغم من أن الصوفية، قد اتفقوا على أن المقامات والأحوال، هي الموصلة لمعرفة الله تعالى فإنهم اختلفوا في عددها وأوصافها، كما اختلفوا في ترتيبها؛ إذ إن كل سالك، يصف لنا- على حدة- منازل سيره، وحال سلوكه الذي سلكه؛ في الوصول إلى الله تعالى[٣]، ففي حقيقة الأمر هذا كان متوقعا؛ لأن مقامات الطريق وأحواله، أمور ترد إلى الذوق وحده، فكلٌّ في سيره إلى الله، يصف لنا منازل سيره، وحال سلوكه الفردي الذاتي على حده[٤]؛ ولذا فإن المقامات والأحوال، تختلف من حيث الكيف؛ باختلاف الأشخاص السائرين في الطريق؛ ولذلك فلكل منهم مقام معلوم، وحال خاص به؛ لذا جاءت المقامات عند الجنيد أربعة : «توبة تحل الإصرار، وخوف يزيل الغرة، ورجاء مزعج إلى طريق الخيرات، ومراقبة الله في خواطر القلوب»[٥]، وعند الطوسي في في «لمعه» سبعة: التوبة، والورع، والزهد، والفقر، والصبر، والتوكل، والرضا الذي هو آخر المقامات[٦]، وعند أبي طالب المكي في «قوت القلوب» تسعة: التوبة، والصبر، والشكر، والرجاء، والخوف، والزهد، والتوكل، والرضا، والمحبة[٧]. وعند ابن عطاء الله السكندري في «التنوير في إسقاط التدبير» تسعة: التوبة، والزهد، والصبر، والشكر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والمحبة، والرضا، على الترتيب[٨]. ووصلت عند الغزالي في «الإحياء» إلى ثمانية عشر مقاما هي المنجيات: التوبة، والصبر، والشكر، والخوف، والرجاء، والفقر، والزهد، والتوحيد، والتوكل، والمحبة، والشوق، والأنس، والرضا، والنية أو (الإرادة)، والإخلاص، والصدق، والمراقبة، والمحاسبة[٩]، بينما بلغ عددها عند الهروي في «منازل السائرين» مائة مقام[١٠]. وأما عند الكلاباذى والقشيري، فقد جاءت غامضة غير محددة العدد[١١].

---

(١) د/ أبو الوفا التفتازاني ، مدخل إلى التصوف الإسلامي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ص ٤٦ . وأيضا: نيكلسون، الصوفية في الإسلام ، ترجمة نور الدين شريبة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط ٢ ، ٢٠٠٢، ص ٤٠ .

(٢) القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ١٣٣ .

(٣) (نشير هنا إلى أن تجارب الصوفية ليست متشابهة؛ فهي تختلف من صوفي لآخر؛ وفقا للتكوين النفسي الخاص بالصوفي وخلفيته الجغرافية والبيئية والميتافيزيقية واللاهوتية والحافز الخاص الذي بدأه في سعيه؛ فكلها تؤثر عليه وعلى التوصيفات التي يتركها لتجربته، والطريقة التي فسرها بها) . انظر:

Happgold (F. C): Mysticism of a study and an antholgy, Printed in England by Clays Ltd, St Ives ple Set in Monotype Garamond,1970,P.118.

(٤) د/ أحمد محمود الجزار ، الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٦، ص ١٨ .

(٥) انظر: أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج ١٠ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨، ص ٢٦٩ . وأيضا : ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، تحقيق الشيخ خالد طرطوس ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠١٢ ، ص ٤٦٧ .

(٦) انظر : الطوسي ، اللمع ، ص ٦٥ .

(٧) أبوطالب المكي ، قوت القلوب في معاملة المحبوب ، ج ٢، تحقيق د/ محمود إبراهيم الرضواني، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط ١ ،٢٠٠١ ،ص٤٩٩ .

(٨) ابن عطاء الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، تحقيق/ محمد عبد الرحمن الشاغول ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٢ ، ص ٢٨ .

(٩) انظر : الغزالي ، إحياء علوم الدين، ج ٤ ، المنجيات ، تقديم د/ بدوي طبانة ، مكتبة ومطبعة كرياطه فوترا ، إندونسيا ، بدون تاريخ ، ص ٢- ٤٠٣ .

(١٠) انظر: الهروي، منازل السائرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٥ .

(١١) انظر : الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق/ أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٣ ، ص ١٠٧ ومابعدها . وانظر : القشيري، الرسالة القشيرية ، ص ١٣٣ ومابعدها .

فالتجربة الصوفية لكل سالك للطريق، هي التي تحدد عدد المقامات والأحوال، وأوصافها وترتيبها، فذلك يَرد عند كل سالك؛ تبعا لما عايشه في تجربته، إبان سلوكه للطريق؛ بحسب مواهبه وقدراته، واختلاف قواعد السلوك التي درج عليها المريد، في تربيته الروحية من شيخ إلى آخر، ومن طريقة إلى أخرى.

المبحث الثاني / مدى اهتمام اللجائي بالمقامات والأحوال:ـ

لما كانت المقامات والأحوال، تمثل جوهر الطريق الصوفي الذي يسلكه المريد؛ للوصول إلى معرفة الله تعالى- كما أشرنا سابقا- فإن عبد الرحمن اللجائي اهتم بها اهتماما كبيرا .

فبالنظر في مؤلفاته الصوفية التي وصلت إلينا؛ نجده أفرد للمقامات والأحوال العديد من الفصول والمباحث؛ ليقدم تصوره الخاص لها- مثل غيره من المتصوفة الذين قاموا بذلك-؛ فجاءت مبحثا رئيسا في هذه المؤلفات وخصوصا في كتبه: قطب العارفين، وشمائل الخصوص، ومحجة السعادة، وشمس القلوب.

ففي كتابه «قطب العارفين» الذي ألفه سنة ٥٧٧ هجرية[١]، والذي يعد أقدم مؤلفاته التي بين أيدينا، نجده يقسمه إلى ثلاثة أقطاب:

القطب الأول: خصصه للحديث عن معرفة الله تعالى، وما يجوز عليه، وما لا يليق به؛ باعتبارها أول الواجبات على العباد. واعتبر اللجائي هذا القطب؛ مقدمة ضرورية لابد منها للقضبين الآخرين، فهو بمثابة « القشر القريب من لباب المعرفة، فمن قنع به وعجز عن القطبين الآخرين؛ فقد رضي لنفسه بمنازل العوام، وأقعده العجز عن منازل أهل الخصوص »[٢].

وأما القطب الثاني؛ فقد خصصه « للرياضة والتهذيب »، أي تهذيب النفس، وكبح جماحها عن اللذات، وترويضها على طاعة الله ومحبته؛ حتى تصل إلى المعرفة الحقة به؛ وذلك بالعروج والترقي في العديد من المقامات والأحوال، كالتوبة، والمراقبة، والورع، والزهد، والصبر، والأنس، والقرب، والمحبة، وغيرها، والتي يتدرج فيها السالك إلى الحضرة الإلهية، محددا هذه المعارج، وواصفا إياها للسالكين.

وأما القطب الثالث والأخير:« في البواطن والأسرار»، فقد ضمَّنه الحديث عن أحوال العارفين وفضائلهم ومقاماتهم، والجسور التي يقطعها السالك؛ ليصل إلى هذا المقام الرفيع (مقام العارفين) .

---

(١) انظر: اللجائي ، قطب العارفين ، تحقيق د/ محمد الديباجي ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١، ٢٠٠١، ص ١٧١ . (وتجدر الاشارة هنا إلى أن محقق كتاب قطب العارفين، حاول أن يبين لنا مقصد المؤلف من تسميته لهذا الكتاب؛ فبين لنا أن لكلمة القطب عدة معان: منها أن القطب ملاك الشيء وقوامه، ومنها أنه كوكب صغير لايزول الدهر، ومنها أنه الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العلم في كل زمن . ويرجح أن المؤلف قصد أحد المعنيين الأول والثاني دون الأخير، حينما اختار لكتابه هذه التسمية ، فكأنه أراد أن يكون كتابه هذا عمدة العارفين وقوام أمرهم، أو أراد أن يكون كتابه هذا- على صغر حجمه- كوكبا وضاءً ينير طريقهم ماطلبوه ، ويهديهم سواء السبيل ماقصدوه). انظر: د/ محمد الديباجي ، مقدمة تحقيقه لكتاب قطب العارفين للجائي ، ص ٢٣-٢٤ .

(٢) اللجائي ، المصدر السابق، ص ٦٤ .

وفي كتابه « شمائل الخصوص» الذي نرجح أنه ألفه بعد كتابه « قطب العارفين »، وبعد فقدان وضياع كتابه الذي لم ينته من تأليفه، والمسمى « بشمس القلوب »[١]، نجد اللجائي يخصصه للحديث عن شمائل وأحوال ومقامات أهل الخصوص من شيوخ العارفين، فعقد فصولًا مختصرة تحدث فيها عن الإرادة، والزهد، والتوكل، والصبر، والحزن، والخوف، والرجاء، والشكر، والمحبة، والشوق، وكيفية ترقي السالكين لهذه المقامات والأحوال.

وفي كتابه « محجة السعادة » نجده يخصص أكثر من ١٢ بابا من أبواب الكتاب، التي بلغت ٢٦ بابا؛ ليحلل فيها العديد من المقامات والأحوال. فبدأ بالحديث عن التوبة، ثم الورع، ثم الزهد، ثم المعرفة، ثم المراقبة، ثم الحياء، ثم الصبر، ثم الرضا، ثم الشكر، ثم التوكل، ثم المحبة، ثم المحاسبة[٢].

وفي كتابه « عين الحقيقة » الذي نرجح أنه ألفه بعد«محجة السعادة»[٣]، نجده يخصصه للبحث في علل القلوب ومكامن القبح فيها، من خلال ثمانية أبواب هي: باب في ذم الدنيا، وباب في الدعوى، وباب في التكبر، وباب في الرياء، وباب في العجب، وباب في الحسد، وباب في العلم النافع، وباب في السماع . وبداخل هذه الأبواب، تناثرت العديد من الشذرات عن المقامات والأحوال، وخصوصا مقام الزهد، والورع، والرجاء، والصبر، والرضا، والتوبة[٤].

وأما كتاب « شمس القلوب » الذي انتهى من تأليفه سنة ٥٩٩هـ[٥]، فإنه يعد أكثر مؤلفاته التي خصصها للمقامات والأحوال. فهذا الكتاب خصصه بالكامل؛ للحديث عن طريق السالكين إلى الله، محللا مراحل ومدارك السالكين، التي يصلون من خلالها؛ إلى معرفة الذات الالهية، ومشاهدة الحضرة العلية.

فمن خلال أبواب هذا الكتاب، التي وصلت إلى ٣١ بابا، قدم اللجائي تحليلا وافيا لطريق السالكين إلى الله، معددا ومفندا لمراحل هذا الطريق من مقامات وأحوال، من توبة، وورع، وزهد، ومحاسبة، وتوكل، وأنس، وقرب ، وصبر، ورضا، وإخلاص، وحزن، وخوف، ورجاء، وشكر، ومحبة، وتوحيد.

ويمكن القول إن هذا الكتاب؛ هو أهم كتب اللجائي على الإطلاق وأعمقها، فيما يخص الحديث عن الطريق ومراحله من أحوال ومقامات؛ ذلك لأنه يمثل خلاصة التجربة الروحية

---

(١) (أشار اللجائي إلى هذا الكتاب في نهاية كتابه "شمس القلوب" الذي ألفه في نهاية حياته سنة ٥٩٩ هـ ، وذكر لنا أنه سماه بنفس اسم هذا الكتاب الذي شرع في تأليفه ولم يكتمل لفقدانه) انظر: اللجائي ، شمس القلوب ، تحقيق د/محمد الديباجي ، دار صادر ، بيروت، ط ١ ، ٢٠٠٣، ص ٢٦٠.
(وأما عن ترجيحي لتأليف اللجائي لشمائل الخصوص بعد هذين الكتابين؛ فيرجع إلى أن اللجائي نفسه أشار إلى هذين الكتابين في شمائل الخصوص؛ مما يدل على أنه ألفه بعدهما) . انظر: اللجائي ، شمائل الخصوص ، تحقيق: د/ آدم شاتاك وأحمد فورال ، مجلة التصوف، المجلد ٢١، عدد ٤٢، جامعة صباح زعيم بإستنبول، تركيا، ٢٠١٨، ص ٦٦ ، ٦٨.

(٢) (تجد الإشارة إلى أن هذا الكتاب ألفه اللجائي؛ ليكون دواءً لأهل الزهد والعبادة من السائرين إلى الله، وقدعمد اللجائي إلى الاختصار فيه دون الاكثار؛ إذ يرى في الاختصار كفاية للواعي وبلاغة للمسترشد). انظر: اللجائي، محجة السعادة ، مخطوط بدار الكتب المصرية، ضمن مجموع، تصوف طلعت، تحت رقم ١٦٠٣، لوحة رقم ٢ .

(٣) (إذ إن اللجائي أشار في هذا الكتاب إلى كتابه محجة السعادة، وأحال إليه عند حديثه عن التوبة وشروطها ؛ وهذا يدل على أنه ألفه بعد تأليفه لمحجة السعادة) . انظر: اللجائي، عين الحقيقة ، مخطوط بدار الكتب المصرية، ضمن مجموع، تصوف طلعت، تحت رقم ١٦٠٣، لوحة رقم ٦٩ .

(٤) انظر: اللجائي: عين الحقيقة ، اللوحات رقم : ٤٠ ، ٤١ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٩ .

(٥) انظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٢٥٩ .

للجائي نفسه، أراد أن يعرضها في هذا الكتاب؛ ليسترشد بها السالكون والمريدون في سيرهم إلى الله تعالى.

هذا الاهتمام الذي أولاه اللجائي للمقامات والأحوال في مؤلفاته - كما عرضنا؛ يؤكد لنا الأهمية الكبيرة لهذا المبحث (المقامات والأحوال) عنده .

فاللجائي كان أحد مشايخ أهل الطريق في زمانه(١)، وكان له تلاميذ ومريدون، يرشدهم ويوجههم ويضع لهم الرياضات التي تعينهم في سلوكهم للطريق(٢)؛ ولذلك كان اهتمامه الشديد بمبحث المقامات والأحوال في تربيته للمريدين والسالكين؛ إذ إن هذا المبحث هو أساس الطريق وعماده الرئيس.

المبحث الثالث/ مدارج المقامات ومنازل الأحوال لدى اللجائي:-

عمد اللجائي في مؤلفاته؛ إلى تقديم وصف وافٍ لمدارج ومنازل الطريق الصوفي، من واقع مامر به في تجربته الصوفية؛ ليسترشد به السالكون إلى الله في سلوكهم ، فذهب بداية مع غيره من المتصوفة إلى أن المقامات والأحوال هي الوسيلة الرئيسة التي بها يصل السالكون إلى معرفة الله تعالى(٣).

فعن طريق التدرج والارتقاء في المقامات مقاما بعد مقام، دون الثبوت على مقام منها، يصل العارفون إلى هدفهم الأسمى؛« فينظرون إلى الحضرة العلية، حضرة الجبار الأعظم، من غير إدرك منهم...ولاينظرون إلى غيرها، ولا يلتفتون إلى سواها»(٤).

هذه المقامات والأحوال عند اللجائي، هي منازل للعبد السائر إلى الله(٥)، لاتتأتى له إلا بالرياضة والمجاهدة(٦)، فيتدرج ويرتقي فيها منزلة بعد منزلة؛ بشرط أن يتقن كل منزلة؛ ليرتقي إلى غيرها، وذلك بالصبر على الصعوبات والمعوقات التي تواجهه في كل منزلة(٧)، إلى أن يصل يصل إلى نهاية سلكه بالعروج والترقي إلى مقام التفريد، ومقام التعظيم؛ فتزول الحجب عن بصائر قلبه، وينظر إلى الحق سبحانه عيانا ويتحقق له ماسعى إليه(٨).

---

(١) (شهد له بذلك أبو علي اليوسي في محاضراته، و عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره، وصفه بالشيخ العارف، ونقل عنه ، وكذلك بعض الناسخين لكتبه، وصفوه بالولي الصالح ، وبالشيخ القطب الرباني العارف بالله). انظر: اليوسي ، المحاضرات في الأدب واللغة، ج ١ ، ٢٦٨ . وأيضا: عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، ج ١ ، تحقيق أبي بكر محمد الغماري الإدريسي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ٢٠١٤ ، ص ٢٣٥ . وكذلك انظر: د/ محمد الديباجي ، مقدمة تحقيق قطب العارفين ، ص ٣٧ . وأيضا: د/ محمد الديباجي ، مقدمة تحقيق شمس القلوب ، ص ٤٨ ، ٥٧.

(٢) (يؤكد ذلك لدينا؛ أن اللجائي في مؤلفاته دائما يخاطب تلاميذه ومريديه من أهل الطريق، بل إن كتابه شمس القلوب ألفه تلبية لطلب أحد هؤلاء الأتباع والمريدين). انظر: اللجائي ، شمس القلوب، ص ٦٣ . وأيضا: اللجائي، عين الحقيقة ، لوحة رقم ٤٠. وكذلك : اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم، ٢. وكذلك: اللجائي ، شمائل الخصوص، ٥٣. وأيضا: اللجائي، قطب العارفين، ص٤٢، ٦٥.

(٣) انظر: اللجائي، شمائل الخصوص، ص ٦٣. وأيضا: اللجائي، محجة السعادة، لوحة رقم ٤.

(٤) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٤ .

(٥) انظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٦٥ .

(٦) انظر: اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٦٤ ، ٧٢ .

(٧) انظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٣٧ .

(٨) انظر: المصدر السابق ، ص ٢٥٧ – ٢٥٨ .

على أن اللجائي في ذكره للمقامات والأحوال، لم يهتم بتحديد وتعريف المقام والحال، كل على حدة ، كما أنه لم يفصل بينهما ، ولم يذكر بينهما فروقًا، وساقهما جميعًا في كتبه مع بعضهما. وتفسير ذلك عندي يرجع إلى سببين:

أولهما: أن الفرق التقليدي بين المقام والحال- والذي أكده أغلب المتصوفة- والمتمثل في أن المقام يُنال بالمجاهدة والكسب، والحال يحصل بالوهب، عند اللجائي غير موجود؛ فكل ما ذكره من مقامات وأحوال، يعتمد على سرعة همة العبد ومجاهدته(١)، والتوفيق من عند الله سبحانه وتعالى للعبد(٢).

وأما الثاني: فهو أن اللجائي اتفق مع السهروردي وبعض المشايخ، الذين ذهبوا إلى صعوبة الفصل بين المقام والحال؛ لتشابههما في نفسهما وتداخلهما؛ فقد يكون الشيء بعينه حالاً، ثم يصير مقاماً أو العكس(٣)، فربما ترك اللجائي التفرقة بين المقامات والأحوال؛ تأكيدا لذاتية التجربة الصوفية، التي يمر بها السالك وخصوصيتها، فنحا هذا المنحى العملي في بيان هذه المنازل والدرجات دون التفرقة بينهما؛ ولهذا جاءت المقامات والأحوال عنده متداخلة بعضها مع بعض، غير واضحة وغير محددة العدد، وهذا واضح وجلي في مؤلفاته التي تحدث فيها عن المقامات والأحوال(٤).

ومما يؤكد ذلك لدينا؛ أن اللجائي جعل الطابع الفردي للتجربة الصوفية؛ أساس التفاوت بين السالكين، واختلافهم في تحصيل واجتياز هذه الدرجات والمنازل الروحية (المقامات والأحوال). فعلى قدر همة كل سالك في صقل القلب من كدوراته، وشموخ يقينه، وقوة إيمانه، وتوفيق الله له؛ تحصل هذه المنازل والدرجات عنده(٥).

ومن هنا نبَّه اللجائي السائرين أن يخلصوا الهمة لتحقيق ذلك(٦)؛ لأن الترقي في المقامات والأحوال صعب ووعر وعسير على أكثر السالكين(٧)؛ نظرا لخصوصية التجربة، والفروق الفردية بين السالكين؛ فلا يقوى على السلك والترقي « إلا من أيَّده الله بخصوصية سبقت منه وهبة وعلم رصين ، وقلب حنين، ودنيا مرفوضة ، ونفس مقهورة ، وصدر سالم، وتفقد دائم ، وأدب جميل وحسن ، وقصد في سر وعلن »(٨).

تفصيل القول في مقامات وأحوال الطريق :-

يمكن لنا- من خلال القراءة المتأنية لمصنفات اللجائي التي بين أيدينا- أن نفصل القول في مقامات وأحوال الطريق عنده ؛ إذ إنه عمد في مؤلفاته إلى بيان هذه المنازل الروحية، واحدة تلو الأخرى، واصفا إياها بالدرجات السنية والمقامات الشريفة(٩). وسوف نتناولها بالترتيب، كما وردت في كتابه "شمس القلوب" الذي ألفه في نهاية حياته كالتالي:

---

(١) انظر: اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٦٤ .
(٢) انظر: اللجائي، قطب العارفين، ص ١٠٢. وأيضا: اللجائي، شمائل الخصوص، ص٧٤.
(٣) انظر : السهروردي ، عوارف المعارف ، ج ٢ ، ٢٦٤ .
(٤) انظر مثلا: اللجائي، شمس القلوب، ص ٦٤ – ١٨٦. وأيضا:اللجائي، شمائل الخصوص، ص ٥٤ – ٦٢.
(٥) انظر: اللجائي ، قطب العارفين ، ١٠٢ ، ٩٨ . وأيضا: اللجائي ، شمس المعارف ، ص ١٠٨.
(٦) انظر: اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٦٣ .
(٧) انظر: المصدر السابق ، ص ٦٢ . وأيضا: اللجائي ، قطب العارفين ، ص ١١٢ .
(٨) اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٦٢.
(٩) اللجائي ، عين الحقيقة ، لوحة رقم ٤٢ . وأيضا: اللجائي ، قطب العرفين ، ص ١٠٦، ١١٢ ، ١٧١ . وكذلك: اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٧٢ . (وتجدر الإشارة هنا، إلى أن هذا التوجه من اللجائي لوصف=

التوبة :

يكاد يجمع الصوفية على أن التوبة، هي أول منازل ومقامات السالكين إلى الله[١]؛ فهي عندهم أصل كل مقام، وقوام كل مقام، ومفتاح كل حال، إنها بمثابة الأرض للبناء، فمن لا أرضَ له لا بناء له، ومن لا توبةَ له ؛لا حال له ولا مقام[٢].

واللجائي لا يخرج عن هذا الإجماع للصوفية، فالتوبة عنده هي « أول بداية السالكين »[٣]. إنها عنده بمثابة مفتاح الطريق للسائرين إلى الله، شرعها الله تعالى لعباده، وجعلها فرض عين على الكافة. فقال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤]؛ لتكون سترة لعورة أعمال العباد، وطهارة لجناية ذللهم، وهدما لما مضى من ذنوبهم، وإصلاحا لما يأتي من أعمالهم مستقبلًا[٥].

= المقامات والأحوال بالسنية ، كان من أجل تأكيد توجهه السني والتزامه في تصوفه بالشرع كتابا وسنة ، وابتعاده عن التصوف الفلسفي الذي ذهب أصحابه إلى القول بالاتحاد والحلول ووحدة الوجود؛ إذ إن هذا اللون من التصوف كان منتشرا في زمانه) . انظر رفض اللجائي للقول بالاتحاد في كتابه : قطب العارفين ، ص ٥٤ ، ٦٣. وأيضا كتابه : شمس القلوب ، ص ١٨٨-١٨٩ .

(كما تجدر الاشارة هنا أيضا إلى أن التصوف الفلسفي؛ هو لون من ألوان التصوف ،عمد أصحابه إلى مزج أذواقهم الصوفية بأنظارهم العقلية ، مستخدمين في التعبير عنه مصطلحات فلسفية، استمدوها من فلسفات أجنبية متعددة، هذا اللون من التصوف، انصرفت عناية أصحابه؛ إلى كشف حجاب الحس ولما وراء ذلك من المدارك والمعارف ، واختلفت طرقهم في الرياضة والمجاهدة وإماتة القوى الحسية ، وتغذية الروح العاقل بالعبادات والذكر ، وتعرضوا للكلام في حقائق الموجودات العلوية والسفلية ،على وجه لا يفهمه من لم يشاركهم في أذواقهم ومواجدهم ، ثم قالوا إن أهل المجاهدة يدركون كثيرا من الواقعات قبل وقوعها، ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية ، وتصير طوع إرادتهم. وتوغلوا في ذلك؛ متأثرين بالإسماعيلية، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم . وقد تعرض أصحاب هذا الاتجاه للهجوم الدائم من الفقهاء ورجال الدين؛ وذلك لغموض ألفاظهم وإشاراتهم ، وما توهمه ظواهرها من الضلال والزيغ ، ولما أعلنوه من قول بالوحدة الوجودية ، ونظرية القطبية ، ووحدة الأديان، وما يترتب على ذلك كله من آراء ونتائج، ارتأى الفقهاء ورجال الدين أنها مخالفة للعقيدة الإسلامية) . انظر: د/ أبو الوفا التفتازانى ، مدخل إلى التصوف الإسلامى ، ص٢٢٧، ٢٢٩. وأيضا: د/ عرفان عبد الحميد ، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣، ص٢١-٢٢. وكذلك انظر: لويس ماسينيون ، مصطفى عبد الرزاق ، التصوف ، سلسلة كتب دائرة المعارف الإسلامية ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ ، ص٧٥-٧٦. وكذلك د/ أحمد الجزار ، الفكر المصرى المعاصر والتصوف ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ص٦٤.

(١) انظر: الطوسي ، اللمع ، ص ٦٨. وأبو طالب المكي ، قوت القلوب ، ج ٣ ، ص ٤٩٩ . والقشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ١٧٨ . والغزالي ، إحياء علوم الدين، ج ٤ ، ص٢ . ومحمد بن المنور المهيني ، أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد ، ترجمة وتقديم د/ إسعاد قنديل ، الدار المصرية للتأليف و للترجمة والنشر ،القاهرة، ١٩٦٩ ، ص٥١ . ، وكذلك : المحاسبي ، كتاب القصد والرجوع إلى الله ، نشره وحقق عبد القادر أحمد عطا ضمن مجموع للمحاسبي سماه الوصايا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦ ، ص ٢٢٢ . و ابن عطاء الله السكندري، تاج العروس وأنس النفوس ، تحقيق محمد عبد الرحمن الشاغول ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة،٢٠٠٦ ، ص ١٧. ونجم الدين الكبري ، رسالة الأصول العشرة في الطريق، نشرها د/ قاسم السامرائي ضمن كتاب التصوف البغدادي والخراساني ، دار الوراق للنشر، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٣ ، ص ١٠٣ .

(٢) السهروردي ، عوارف المعارف ، ج ٢ ، ص ٢٦٩- ٢٧٠ . وانظر أيضا : الشعراني ،المنح السنية على الوصية المتبولية ، ضبطه وصححه وعلق عليه د/ عاصم الكيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٧ ، ص ٧١-٧٢.

(٣) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٦٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٦٧ . والآية : سورة النور ، آية ٣١ .

(٥) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢ .

إنها- فيما يذهب اللجائي- الحياة للقلوب بعد موتها[١]، بها تمحق الذنوب عن العباد وتهدم؛ حتى وإن كثرت، ورجحت بالسماوات والأرض[٢]، وهي تلازم السالك، ولا يزال فيها إلى الممات، حتى وإن ارتحل إلى منزلة أخرى، فهو يصحبها معه وينزل بها، فهي معه منذ بدايه الطريق إلى نهايته، بها يبدأ وبها ينهي، لا يستريح منها قلبه لحظة[٣]، وهذا ماأشار إليه الروزباري بقوله : « البداية كالنهاية والنهاية كالبداية. فمن ترك في نهايته شيئا مما كان يفعله في نهايته؛ فهو مخدوع »[٤].

وقد حاول اللجائي أن يبين معنى التوبة ، فذهب- مع غيره من الصوفية- إلى أنها تعني بلسان اللغة الرجوع ، إذ تقول العرب تاب فلان إذا رجع . وأما في الشرع؛ فإنها تعني الرجوع عما كان مذموما في الشرع إلى ماهو محمود فيه[٥].

بل إنه لم يكتف بذلك ؛ فذهب إلى بيان معناها بلسان أهل الحقيقة (الخواص)، ولسان أهل حقيقة الحقائق (خواص الخواص) ؛ فرأى أن التوبة بلسان أهل الحقيقة؛ تعني الرجوع عما يدخره العبد من جهد (أي التقصير) في الإنابة إلى ربه سبحانه وتعالى. وأما بلسان أهل حقيقة الحقائق؛ فإنها تعني الرجوع إلى الله عز وجل، عن كل عيب يسترق القلب عنه، وتميل النفس إليه؛ حتى يقوم الحق سبحانه في سر القلب مقام كل شيء[٦] .

والتوبة عند اللجائي على ثلاث مراتب:

مرتبة توبة العامة من الذنوب؛ خوفا من صدمة العذاب، وشرطها ترك المعاصي، وغايتها فقد وجود لذة المعصية، إذا تفكر فيها التائب .

ومرتبة توبة الخواص: وهي الرجوع عن الذنب؛ حياءً من الله تعالى ، وشرطها؛ أن لا يجد العبد مخبأً، لم تشرق عليه شمس الحياء منه سبحانه، وغايتها ألا يرى في الوجود موضعا يعصي فيه الله، إلا وعين الله شاهدة تراه مع وجود الحياء من الله.

ومرتبة توبة خواص الخواص: وهي نسيان النفس والمعاصي والعقاب عليها؛ من أجل الاستغراق في رؤية كرم الله، وغيبة القلب في بحور عظمته وجلاله. وشرطها؛ ترك النفس في

---

(١) المصدر السابق ، لوحة رقم ٢ .

(٢) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٦٦ .

(٣) ابن القيم الجوزية ، مدارج السالكين ، ج ١ ، تحقيق وتعليق / محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ط ٧ ، ٢٠٠٣ ، ص ١٩٦ .

(٤) انظر: عبد الرحمن السلمي، رسالة في غلطات الصوفية ، تصحيح عبد الفتاح فاوي ، نشرت ضمن مجموعة آثار عبد الرحمن السلمي ، طهران ، ١٣٨٨ ه ، ص ٤٧١ . (والروزباري هو أبو على أحمد بن محمد بن القاسم بن شهريار بن مهرذاذار بن فرغدد بن كسرى، من أهل بغداد، سكن مصر، وصار بها شيخا، ومات بها سنة ٣٢٢ ه، صحب أبا القاسم الجنيد وأبا الحسين النوري، وأبا حمزة ومن في طبقتهم من مشايخ بغداد، وكان إماما فقيها عارفا بعلم الطريقة ، حافظا للحديث) انظر: السلمي ، طبقات الصوفية ، حققه وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ ، ص ٢٦٩ – ٢٧٠ . وانظر أيضا: الشعراني ، الطبقات الكبري ،ج ١ ، تحقيق أحمد السايح وتوفيق علي وهبة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٥ ، ص ١٩٢.

(٥) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٦٧ . وانظر: القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ١٧٨ . وأيضا : الهجويري، كشف المحجوب ، ج ٢ ، ص ٥٣٦ .

(٦) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٦٧- ٦٨ .

سجن النسيان مع ترك تفقدها إلا عند الضرورة. وغايتها تفريد الحق سبحانه؛ حتى لا يشاهد العبد من أجل تفريده نعمة ولا محنة(١).

هذا التقسيم للتوبة عند اللجائي- وعند غيره من الصوفية- ارتبط بفهمهم لحقيقة التوبة، كما دلت عليها آيات القرآن الكريم .

فكل من تاب؛ خوفا من العقوبة؛ فهو صاحب توبة، وهي صفة عامة المؤمنين، من قوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون ﴾(٢).

وكل من تاب؛ طمعا في الثواب؛ فهو صاحب إنابة ، وهذه صفة الخاصة من الأولياء والمقربين، من قوله تعالى: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾(٣).

وكل من تاب؛ مراعاة للأمر، لا رغبة في الثواب، أو رهبة من العقاب؛ فهو صاحب أوبة، وهذه صفة خواص الخواص من الأنبياء والمرسلين، من قوله سبحانه وتعالى: ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾(٤).

فالتوبة إذن: أولها التوبة (توبة العامة من الذنوب)، وأوسطها الإنابة (توبة الخواص من غفلة القلوب)، وآخرها الأوبة (توبة خواص الخواص عن كل مايشغل السر عن علام الغيوب)، وهذا ماذهب إليه أبو علي الدقَّاق وغيره من الصوفية(٥).

ويحدد اللجائي للتوبة ستة شروط، لابد أن تتوافر؛ ليقبلها الله تعالى من العبد، هي: منع القلب عن العودة، والندم على الفعل، وترك الإصرار في المستقبل، ورد المظالم إلى أهلها من الحلال، ورفع التسويف (التأخير والمماطلة) بالعمل، وكثرة الاستغفار من الزلل(٦).

فإذا استوفى العبد هذه الشروط الستة في توبته؛ صحت توبته؛ وقبلها الله تعالى؛ لأنه القائل في كتابه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(٧). وليس قبول التوبة على الله تعالى بواجب ، وإنما قبولها فضل منه سبحانه، فالعبد- فيما يرى اللجائي- ليس له من التوبة شيء ، وإنما التوبة لله تعالى على العبد، فإن تاب الله على العبد؛ تاب العبد(٨). وهذا ماأخبرنا به الله في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(٩).

فالتوبة عند اللجائي- وكثير من الصوفية- لا تنال ببذل المجهود، وإنما هي هبة ومنحة من الله تعالى؛ تستوجب الشكر له تعالى عليها(١٠). صحيح أنهم وضعوا لها شروطا ولكن كانت بمثابة

---

(١) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٦٨ ،
(٢) سورة النور ، آية ٣١ .
(٣) سورة ق ، آية ٣٣ .
(٤) سورة ص ، آية ٤٤ .
(٥) انظر: القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ١٨٢ . وانظر أيضا: عز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي ، حل حل الرموز ومفاتيح الكنوز ، تحقيق د/ محمد بوخنيفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ٢٠١١ ، ص ٦٨ .
(٦) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٣ . وانظر أيضا: اللجائي : شمس القلوب ، ص ٦٦-٦٧. وكذلك : اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ١٧٢.
(٧) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٣ . والآية : سورة الشورى ، آيه ٢٥ .
(٨) اللجائي : شمس القلوب ، ص ٦٧ .
(٩) سورة التوبة ، آية ١١٨ .
(١٠) انظر: اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢-٣ . (من الصوفية الذين أكدوا أن التوبة لاتنال ببذل المجهود وإنما هي هبة وفضل من الله لعباده، رابعة العدوية، التي قيل لها: إذا كان العبد مذنبا، فإن تاب تقبل توبته أم لا ؟ قالت: العبد المذنب كيف يتوب؟! ولا يتوب إلا إذا تاب الله عليه، فإذا تاب عليه هو؛ يتوب). انظر: فريد =

العون والدليل لمن في قلبه خير وأمل، فكانت منحة التوبة؛ بمثابة يد المساعدة والعون من القادر الخالق، فقال مظفر القرميسيني[١]: « أفضل ما يلقى به العبد ربه نصيحة من قلبه، وتوبة من ربه »[٢]. بل أحياناً تكون التوبة؛ هي النعمة الإلهية الملتبسة بأنفاس الرجل الصالح، فتكون عن الذنب والطاعة على السواء، فيقول محفوظ النيسابوري[٣]: « التائب الذي يتوب من غفلاته وطاعاته »[٤].

الورع :

هذا المقام عند اللجائي، يأتي بعد التوبة وقبل الزهد، فالعبد بعد أن يخلي قلبه مما ران عليه من الذنوب والآثام في مقام التوبة؛ يكون على حظر من الذنوب؛ حتى إنه يترك بعض الحلال، الذي تكون فيه شبهة مخافة أن يقع في الحرام ، وذلك هو مقام الورع ، الذي عرَّفه اللجائي بأنه « مخافة، يجدها العبد في نفسه، تمنعه من ارتكاب ما يلتبس عليه من أمر دنياه؛ حذراً من عقوبة الله عز وجل »[٥].

هذا المقام عند اللجائي والصوفية، من المقامات الشريفة التي ينزل بها السالك، فهو مِلاك الدين كما أخبرنا النبي ﷺ [٦]. وعبادة العبد لا تتم إلا بحصوله؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لأبي هريرة: « كن ورعاً؛ تكن أعبد الناس »[٧]. فالورع أساس العبادة، كما يقول اللجائي[٨]، ومن لم يكن له ورع، فقيراً كان أو غنياً؛ فعبادته شبه بنيان لا أساس له[٩].

= الدين العطار ، تذكرة الأولياء، ترجمة محمد الأصيلي الوسطاني، تحقيق محمد أديب الجادر، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، سورية ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(وتجدر الإشارة هنا إلى أن التوبة عند القاضي عبد الجبار والمعتزلة - وطبقا لمذهبهم العام الذي يؤكد فاعلية الإنسان وحضوره- لاتتم إلا ببذل المجهود من العبد؛ في تلافى ما وقع منه من ذنوب ومعاصي؛ حتى يصير به العبد كأنه لم يفعل مافعل) . انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١ ،١٩٦٥ ، ص ٧٩١، ٧٩٨ .

(١) (مظفر القرميسيني هو من كبار مشايخ صوفية الجبل- جبل سفح قاسون- وجلتهم ، ومن الفقراء الصادقين ، صحب عبد الله الخراز ومن فوقه من المشايخ ، وكان أوحد المشايخ في طريقته) . انظر: الشعراني، الطبقات الكبرى ، ج ١ ، ص ٢٠٠٤ .

(٢) انظر: السلمي ، طبقات الصوفية ، ص ٢٩٩ .

(٣) (هو محفوظ بن محمود النيسابوري، من صوفية الطبقة الثالثة، وهو من أصحاب أبي حفص النيسابوري، وصحب أبا عثمان الحيري، وغيرهم، مات ثلاث–أو أربع-وثلثمائة هجرية بنياسابور). انظر: عبد الرحمن الجامي، نفحات الأنس من حضرات القدس ، القاهرة ، سنة ١٩٨٩، ص ٤٧٢ .

(٤) انظر: السلمي ، طبقات الصوفية ، ص ٢١٢ .

(٥) اللجائي، شمس القلوب ، ص ٧٢ . (وهذا التعريف للورع عند اللجائي، يقترب من تعريف السلمي والقشيري وغيرهم من الصوفية له؛ «بأنه هو ترك الشبهات»). انظر: عبد الرحمن السلمي، سلوك العارفين، تصحيح سليمان إبراهيم آتش ، نشرت ضمن مجموعة آثار عبد الرحمن السلمي ، طهران ، ١٣٨٨ ه ، ص ٥٦٩ . وانظر أيضا: القشيري، الرسالة القشيرية ، ص ٢١٠ . وكذلك: ابن شاهاور الرازي ، منارات السائرين ومقامات الطائرين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط١ ، سنة ١٩٩٣ ، ص٣٦١ .

(٦) الطوسي ، اللمع ، ص ٧٠ .

(٧) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٧٢ . والحديث أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب الزهد ، باب الورع، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،ج٢، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٢، ص١٤١٠.

(٨) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ١٧ .

(٩) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٧٣ .

ولذلك وجب على العبد السائر إلى الله تعالى؛ أن يحرص على التحقق بالورع، قبل أن ينتقل إلى المرتبة التالية- مرتبه الزهد-، إذ « منه يرتقي العبد إلى مرتبة الزهاد»[١]. وهذا لايتم للعبد؛ إلا إذا تملك العبد الخوف من الله؛ إذ إن الورع- فيما يرى اللجائي- مشتق من الخوف، فعلى قدر خوف العبد من مولاه؛ يكون ورعه، فهناك ارتباط وثيق بين الورع والخوف، فمن قلَّ خوفه؛ قلَّ ورعه؛ وذهبت هيبته؛ وسقط من عين الله تعالى؛ وأسقطه من قلوب خلقه. ومن تزايد خوفه من الله تعالى؛ تزايد ورعه بزيادة خوفه[٢].

والورع عند اللجائي على ثلاث مراتب:

مرتبة ورع العوام من أبناء الآخرة، ويكون؛ بالهروب عن المحارم والشبهات، وزجر النفس عن الميل إليها. ومرتبة ورع الخواص، ويكون؛ بترك ما لا بأس به؛ حذراً مما به البأس. ومرتبة ورع خواص الخواص، ويكون؛ بترك كل ما يحجب القلوب عن الله تعالي [٣]. وهذه المرتبة هي أعلى مراتب الورع، فبالاضافة إلى أنهم يتورعون عن الشبهات، التي ما بين الحرام البيّن والحلال البيّن، وما لا يقع عليه اسم حلال مطلق، ولا اسم حرام مطلق؛ نجدهم أيضا، يتورعون على كل ما يشغل القلب، ويشتته عن ذكر الله تعالى[٤]. وهذه المرتبة هي التي أشار إليها السلمي، وأبو بكر الشبلي، في تعريفهما للورع؛ بأنه هو« أن يتورّع عما سوى الله تعالى »[٥].

ويرى اللجائي، أن العبد لابد أن يكون حريصًا على صحة ورعه؛ وذلك بترك الرغبة في الدنيا؛ إذ هي آفة الورع التي تبطله. فالرغبة أصل يتفرع منه الطمع، والطمع يتفرع منه الحرص، فإذا سلم العبد من شر هذه الثلاث علل؛ صحَّ ورعه[٦]. وهذا يتم للعبد؛ بالقناعة التي تمحق أصول الرغبة في الدنيا من القلب؛ فينقبض العبد عن المحارم والشبهات، والسهو عن الله تعالى؛ الذي تبعثه الرغبة في حب الدنيا؛ إذا غلبت على العبد[٧].

وكذلك فإن العبد- فيما يرى اللجائي- لابد أن يحرص؛ على أن يكون ورعه في سره وخلوته؛ بحيث لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، فذلك ضروري لصحه ورع العبد؛ لأن العبد إن لم يكن له ورع في سره وخلوته؛ فسد ورعه؛ وفسدت أعماله[٨].

فالورع أمر ضروري لاكتمال وتمام العبادة عند اللجائي والصوفية ؛ ولذلك وجدنا الصوفية يتوسعون في هذا المقام ؛ حتى إنهم حرموا على أنفسهم، كل فعل، أو كل قول، أو كل ملبس فيه شبهة . فالقشيري يروي عن إبراهيم بن أدهم؛ أنه رفض أن يشرب من ماء زمزم ؛ لأنه لم يكن يملك دلوا يشرب به[٩]. ويروي لنا أيضاً أن رابعة العدوية، خاطت شقاً في قميصها في ضوء

(١) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ١٧ .
(٢) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٧٢ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٧٢ ، ٧٣ .
(٤) د/ مجدي محمد إبراهيم ، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي ، ص ٨٥ – ٨٦ .
(٥) انظر: السلمي، سلوك العارفين، ص ٥٦٩ . وأيضا: القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٢١٠ . وكذلك : الطوسي، اللمع ، ص ٧١ .
(٦) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٧٢ - ٧٣.
(٧) المصدر السابق ، ص ٦٩ .
(٨) المصدر السابق ، ص ٧٣ .
(٩) القشيري ، الرسالة القشيرية ص ٢١٢.

مشعل سلطان ؛ ففقدت قلبها زماناً، حتى تذكرت ؛ فشقت قميصها ؛ فوجدت قلبها[١]. كما يروي لنا لنا السهروردي، أن المحاسبي، كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ؛ ضرب على رأس إصبعه عرق؛ فيعلم أنه غير حلال[٢].

الزهد :

إذا صحت التوبة النصوح للعبد، وتزكت نفسه بالورع؛ انجلت مرآة قلبه؛ وظهر قبح الدنيا فيها؛ فيحصل الزهد؛ إذ إن آخر درجة من الورع، أول درجة من الزهد كما قال اللجائي[٣].

والزهد عند اللجائي والصوفية يعد من المقامات الشريفة المهمة؛ فهو أساس الطريق الصوفي كله، وإلى هذا أشار الطوسي؛ فقال:« إنه أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية ، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل ، فمن لم يحكم أساسه في الزهد ؛ لم يصحَّ له شيء مما بعده ؛ لأن حب الدنيا؛ رأس كل خطيئة، والزهد في الدنيا؛ رأس كل خير وطاعة »[٤].

ولذلك اهتم الكثير من الصوفية ببيان حقيقة الزهد؛ فتعددت واختلفت تعريفاته لديهم؛ وفقا لحال كل واحد منهم، فذهب ابن الجلاء إلى أن الزهد؛ هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال؛ لتصغر في عينك؛ ويسهل عليك الإعراض عنها[٥]. ورأى عبد الله ابن المبارك؛ أن الزهد هو الثقة بالله تعالى، مع حب الفقر[٦]. وأما الجنيد، فقد رأى أن الزهد هو خلو الأيدي من الأملاك، والقلوب من التتبع[٧]. وذهب المحاسبي، إلى أن الزهد هو العزوف عن الدنيا ولذاتها وشهواتها[٨]. ورأى الشبلي؛ أن الزهد هو أن تزهد فيما سوى الله تعالى[٩]. وذهب ابن شاور الرازي؛ إلى أن الزهد هو هو عدم الالتفات إلى الدنيا بحذافيرها، مالها، وجاهها، وشهواتها، وزينتها، وزخارفها؛ رغبة في الآخرة ونعيمها[١٠].

وأما اللجائي، فإنه ذهب إلى أن الزهد هو « العزوف عن الدنيا، وانصراف القلب عنها»[١١]. وهو بذلك يتفق مع التوجه العام للصوفية؛ في تحديد مفهوم الزهد وحقيقته، فحقيقته تتمثل في عزوف القلب عن الدنيا، وإعراضه عنها، وتركه لها، ونظره إليها بعين التغيير والزوال[١٢]، وذلك في حال وجودها وتملكها، لا فقدها وعدمها[١٣].

فالزهد في الدنيا عند اللجائي، لا يتم إلا إذا حاز الزاهد الدنيا وامتلكها، فامتلاك الدنيا شرط أساسي للزهد فيها، وعزوف القلب عنها. فالزاهد يجب أن يكون معرضا عما يملك، لا أن يكون

(١) المصدر السابق ، ص٢١٥ .
(٢) السهروردي ، عوارف المعارف ، ج ٢ ، ص٢٨١.
(٣) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٧٨ . وانظر: المحاسبي ، القصد والرجوع إلى الله ، ص ٢٣٧ .
(٤) الطوسي ، اللمع ، ص ٧٢ .
(٥) القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ٢١٩ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .
(٧) الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص ١٠٩ .
(٨) المحاسبي ، القصد والرجوع إلى الله ، ص ٢٣٨ .
(٩) القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ٢٢١ .
(١٠) ابن شاهاور الرازي ، منارات السائرين ومقامات الطائرين ، ٣٦٠ .
(١١) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ١٧ .
(١٢) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٧٤ .
(١٣) انظر: اللجائي ، عين الحقيقة ، لوحة رقم ٤٠ .

معرضا عما لايملك؛ لأن من لا يملك شيئا ففيم يكون زاهدا؟ فهذا هو جوهر وحقيقة الزهد في الإسلام(١).

ولكن هذه النظرة لمفهوم الزهد في الدنيا عند اللجائي؛ لا تعني عنده العزوف عن الدنيا بالكلية، وإنما الاشتغال بها، مع التقليل من أمرها. فالزاهد في الدنيا -فيما يرى اللجائي- يجب عليه؛ أن يأخذ من حلال الدنيا ما يسد به جوعه، ويقيم به صلبه، ويستعين به على أداء فرائضه، لا أن يتركها بالكلية(٢).

واللجائي بذلك يؤكد الرؤية الإسلامية الخاصة لمفهوم الزهد؛ فهو ليس رهبانية أو انقطاعًا عن الدنيا، وإنما هو معنى يتحقق به الإنسان؛ يجعله صاحب نظرة خاصة للحياة الدنيا، يعمل فيها ويكد، ولكنه لا يجعل لها سلطانا على قلبه، ولا يدعها تصرفه عن طاعه ربه(٣).

هذه الدنيا التي يجب الزهد فيها، وتركها، والعزوف عنها- فيما يرى اللجائي- فيها شيئان: الأول ما تعلق به منها حب العبد؛ فوجده؛ فشغله عن الله تعالى السرور به. والثاني ما تعلق به منها أيضا حب العبد، فمنع منه، وشغله عن الله تعالى؛ بالتأسف عليه. فهاتان العلتان؛ تستجلبان بعد القلوب عن الله تعالى. وقد ندب الله تعالى عباده؛ إلى اجتناب هذين الشيئين؛ فقال تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُم ﴾(٤). فالفرح بالموجود من الدنيا؛ محنة، والتأسف على الفائت منها؛ معصية، ولا يتم الزهد للزاهد في الدنيا، إلا بعد تجرد نفسه عن الفرح بالموجود، والتأسف على الفائت؛ لأنهما يشغلانه عن الله تعالى(٥).

وهكذا فالباعث على الزهد في الدنيا عند اللجائي وغيره من الصوفية؛ هو الترفع عن الالتفات إلى ما سوى الله تعالى؛ رغبة في تصفية وتزكية القلب؛ لرفع الحجب عنه؛ للقرب من الله تعالى(٦). وبذلك يكون الزهد في الدنيا، ليس مجرد الحرمان التام من المأكول والمشروب، وإنما هو زهد القلب في كل مايشغله عن الله تعالى ، إنه عمل قلبي، مادام محله القلب. وهذا هو الزهد المشروع حقيقة في الدنيا، إنه يكون في القلب، شأنه شأن التوحيد(٧).

والزهد عند اللجائي على ثلاث مراتب:

مرتبة زهد العوام من أبناء الآخرة، الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا، ويقهرون أنفسهم عند الانكباب على الشهوات،ويشكرون الله تعالى على ما أعطاهم من القوت(٨).

ومرتبة زهد الخواص من المريدين، الذين إذا نزلت بدنياهم الجوائح؛ لم تضطرب نفوسهم، وترضى قلوبهم، وتسكن نفوسهم عند فقدها، كما تسكن عند وجودها، فهؤلاء هم الصادقون في زهدهم، الواثقون بما قدره الله لهم(٩).

---

(١) انظر: د/ أبو الوفا التفتازاني ، مدخل إلى التصوف الإسلامي ، ص ٦٧ .
(٢) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ١٧ . وأيضا انظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٧٧ .
(٣) د/ أبو الوفا التفتازاني ، مدخل إلى التصوف الإسلامي ، ص ٦٧ .
(٤) سورة الحديد ، آية ٢٣ .
(٥) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٧٥-٧٦ .
(٦) انظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٧٩ .
(٧) انظر: د/ أحمد محمود الجزار ، المعرفة عند صوفية الإسلام أبو سعيد بن أبي الخير نموذجا ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٣ ، ص ٥٩-٦٠ .
(٨) اللجائي ، عين الحقيقة ، لوحة رقم ٤٠ .
(٩) المصدر السابق ، لوحة رقم ٤٠ .

ومرتبة زهد خواص الخواص من العارفين، الذين رفضوا نعيم الدارين جميعا- الدار الدنيا والدار الآخرة- فزهدوا في الدنيا؛ وانصرفت قلوبهم عنها، ثم ارتقت وتهيأت قلوبهم إلى الزهد في نعيم الآخرة، ورفض كل ما سوى الله، وأقبلوا على الله تعالى بالكلية. وهذه المرتبة هي أعلى درجات زهد الزاهدين(١).

وقد بين اللجائي أن الزهد في نعيم الآخرة، هو أعلى مراتب زهد القلوب؛ فهو درجة أرفع من درجة الزهد في الدنيا(٢)، إنه فضيلة كالزهد في حلال الدنيا، لكنه لا يتحقق إلا بالصدق في الزهد في الدنيا على الحقيقة أولا؛ لأن من لم يكن له زهد في رفض الدنيا؛ فلا صدق له في رفض آخرته(٣).

فإن كان ذلك كذلك، وترقى العبد من الزهد في الحظ العاجل- الزهد في نعيم الدنيا- إلى الزهد في الحظ الآجل- النعيم المقيم في الآخرة-؛ فقد وضع قدمه في أول درجة من زهد العارفين(٤). وهذه المنزلة؛ هي أول سلوك طريق المفاوز عند اللجائي(٥)؛ لأنها بداية الغيبة عن الخلق، وأول المعراج إلى رياض المشاهدة للحق سبحانه(٦).

التوكل :

التوكل من المقامات السنية الشريفة اللازمة للعبد المؤمن، السائر إلى الله تعالى عند اللجائي والصوفية . إنه يلزم العبد، ويصاحبه من أول قدم يضعه في الطريق إلى نهايته، وكلما ازداد قربه، وقوي سيره؛ ازداد توكله، على حد قول ابن قيم الجوزية(٧).

هذا المقام عند الصوفية يعد من أعلى مقامات اليقين، وأشرف أحوال المقربين(٨). إنه فيما يرى اللجائي « مقام قوي لا يرقاه إلا الأقوياء، كما قال عليه السلام: من أحب أن يكون أقوى الناس؛ فليتوكل على الله »(٩).

أمر الله عباده المؤمنين بالتوكل، وجعله مقرونا بالإيمان؛ فقال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(١٠). ورغبهم فيه، وحبَّبه إليهم؛ فجعل المتوكلين من جمله محبيه؛ فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(١١). وخصَّ أصحابه بضمان كفايته؛ فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾(١٢). فمن كان الله حسبه؛ كان كافيه مما سواه، ومن كان الله كافيه؛ فهو شافيه ومعافيه؛ ولا يسأل عما هو فيه(١٣).

---

(١) انظر: المصدر السابق ، لوحة رقم ٤١ . وانظر أيضا: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٧٩ .
(٢) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ٧٨ .
(٣) اللجائي ، عين الحقيقة ، لوحة رقم ٤١ .
(٤) اللجائي ، قطب العارفين ، ص ٩١ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٨٧ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٩٤ .
(٧) ابن قيم الجوزية ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي ، المجلد١ ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ط١ ، سنة ١٤٢٩هـ ، ص٥٥٧.
(٨) الطوسي ، اللمع ، ص ٧٨ . وانظر: اللجائي : شمس القلوب ، ص ١٠٨.
(٩) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١١١ . والحديث أخرجه: الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، ج ج ٤ ، كتاب الأدب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢ ، ٢٠٠٢ ، ص ٣٠١.
(١٠) سورة التوبة ، آية ٥١ .
(١١) سورة آل عمران ، آية ١٥٩ .
(١٢) سورة الطلاق ، آية ٣ .
(١٣) المكي ، قوت القلوب ، ج ٢ ،ص ٨٥١ . وانظر أيضا: الطوسي ، اللمع ، ص ٧٨ .

وقد تعددت تعاريف الصوفية للتوكل؛ فذهب السلمي، إلى أن التوكل هو« أن يكون العبد لله تعالى كما لم يكن، ويكون الحق له كما لم يزل »[١]. ورأى ذو النون، أن التوكل هو « ترك تدبير تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة »[٢]. وذهب الجنيد، إلى أنه هو « اعتماد القلب على الله تعالى »[٣]. ورأى سلطان العلماء العز بن عبد السلام السلمي، أنه هو« اعتماد القلب على الرب فيما يفعله من خير، أو يزيله من ضير»[٤].

وأما اللجائي، فقد ذهب في كتابه "محجة السعادة"؛ إلى أن معنى التوكل في نفسه، هو « الاعتماد على الله تعالى، وإزالة النفع عمن سواه، والعلم بأنه قدر المقادير، وضمن الأرزاق، وجعل لكل خلق من خلقه رزقا معلوما، وكَيْلًا مَوْزُونا »[٥].

هذا المعنى للتوكل عند اللجائي، حاول أن يوضحه، ويفصله لنا بطريقة أخرى في كتابه" شمس القلوب"، فقال :« أصل التوكل هو إكالة العبد أمره إلى الله؛ ليحكم فيه بما يشاء، وأغصانه الاعتماد على الله، مع قطع الطمع عمن سوى الله، وثماره؛ التسليم والتفويض لله، وتأديبه؛ ترك الاختيار والتمليك على الله، وروحه؛ رؤية النفع والضرر من الله، مع فقد الغضب على الأسباب، والسكون عند جريان الحكم على الأحباب»[٦].

ومن الواضح أن اللجائي، يؤكد أن التوكل، يعني تعلق القلب بالله وحده، والطمأنينة إلى كفايته في جميع الأمور؛ لأنه تعالى هو وحده المتفرد بالضرر والنفع. فالتوكل عنده؛ هو ثمرة ناشئة عن معرفة ويقين العبد بتوحد الرب بالنفع والضرر؛ إذ إن هذه المعرفة؛ تضطر العبد إلى التوكل عليه تعالى وحده ، وتفويض وإكالة أمره كله إليه، مع التبرئة من الحول والقوة لله تعالى وحده[٧].

وهذا يعني أن هناك أصلين، لا يتحقق التوكل إلا بهما عند اللجائي: علم القلب، وعمله. أما علم القلب؛ فيقينه بكفاية وكيله(الله تعالى)، وكمال قيامه بما وكَّله به، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. وأما عمله؛ فسكونه إلى وكيله، وطمأنينته إليه، وتفويضه، وتسليمه أمره إليه، ورضاه بتصرفه له، فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه.

والتوكل عند اللجائي على مرتبتين: مرتبه العامة ؛ الذين إذا ظهرت الأسباب التي تستجلب في العادة الموت والفاقة؛ طاشت قلوبهم، ونفرت، واضطربت؛ وخرجت عن السكون إلى الفرار. وهذه المرتبة هي أقل مراتب المتوكلين، ويسكن أصحابها في أسفل دار التوكل[٨].

وأما المرتبة الثانية، فهي مرتبة الخصوص؛ الذين إذا ظهرت تلك الأسباب- التي تستجلب في العادة الموت والفاقة-؛ لا تنفر قلوبهم، ولا تطيش، ولا تضطرب؛ سكونا منهم لمجاري الأقدار. وهذه المرتبة هي أعلى مراتب المتوكلين، ويسكن أصحابها في أعلى دار التوكل[٩].

---

(١) السلمي ، سلوك العارفين ، ص ٥٧٠ .
(٢) الطوسي ، اللمع ، ص ٧٨ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٧٩. وانظر أيضا: السهروردي ، عوارف المعارف ، ج ٢ ، ص٢٩١ .
(٤) عز الدين بن عبد السلام السلمي ، شجرة المعارف والأحوال ، تحقيق إياد خالد الطباع ، دار الفكر، دمشق ، ط٢ ، سنة ١٩٩٦، ص ٤٢٠ .
(٥) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢٦ .
(٦) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١١١ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١١٠ .
(٨) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٠٨ .
(٩) المصدر السابق ، الصفحة نفسها . وانظر أيضا: اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢٦ .

وهذه المرتبة الأخيرة لا يرقاها إلا العارفون، الذين لا يخافون من السبب دون المسبب، ولا يطمعون في السبب دون المسبب، ولا يرون منعا من السبب دون المسبب[١]؛ ويكون ذلك إيمانا ويقينا وثقة منهم؛ في أنه سبحانه وتعالى، ضمن لهم أرزاقهم وأعمارهم؛ فسكنت نفوسهم عن الاضطراب والطيش عند ظهور الأسباب التي تستجلب الموت والفقر[٢].

ولكن هل التوكل على الله عند اللجائي يتعارض مع الأخذ بالأسباب؟

هنا نجد اللجائي، يؤكد لنا أن التوكل على الله تعالى، لا يمنع ولا يتعارض مع الأخذ بالأسباب، والسعي في طلب الرزق، فالعبد المتوكل على الله، لا بد له أن يأخذ بالأسباب؛ فيسعى في طلب الرزق، ويستعد لذلك بالحرفة، وملازمة الجد والتعب[٣]؛ مع ضرورة معرفته ويقينه التام التام بأن الله تعالى قد ضمن الأرزاق لعباده، وقسمها بينهم في الأزل، ووقَّت أوقات اكتسابها ونيلها؛ فتسكن بذلك نفوسهم؛ وتطمئن إلى القسمة السابقة، وضمان الله عز وجل وكفالته؛ فيكون بذلك في أعلى مرتبة من مراتب المتوكلين[٤].

فترك الأسباب؛ بدعوى التوكل، مرفوض عند اللجائي وعند غيره من الصوفية الكمل، فالعبد مطالب بالأخذ بالأسباب، مع التوكل على الله تعالى، مع عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، والركون إلى مسببها وحده؛ ثقة وطمأنينة فيما ضمنه لعباده في القضاء السابق[٥].

فالتوكل لايمنع من الأخذ بالأسباب، وتحقيق ذلك؛ لايقدح فيه[٦]، فالله تعالى رتَّب مصالح الدنيا والآخرة على الأسباب- كمايقول العز بن عبد السلام- فمن ترك الأسباب بحجة التوكل؛ لزمه ألاَّ يأكل إذا جاع ، ولا يشرب إذا عطش، ولا يلبس إذا برد، ولا يتداوى إذا مرض، وأن يلقَى الكفارَ بغير سلاح، وهذا ما لا يقوله مسلم ولا عاقل[٧].

الأنس :

من مطالب همم السائرين إلى الله عند اللجائي، الأنس بالله والوحشة مما سواه[٨]. والأنس عند اللجائي؛ يعني سكن القلب إلى الله، وفرحه، وسعادته، وتنعمه بذكر الله، والوحشة مما سواه؛ وذلك بالاعتزال عن الحظوظ العاجلة، إلا ما تمس إليه حاجة الاضطرار[٩].

هذا المعنى للأنس عند اللجائي، هو نفسه ما دارت عليه أقوال وتعاريف مشايخ الصوفية للأنس، فقد سئل المحاسبي عن الأنس؛ فقال: « الأنس بالله تعالى، التوحش من الخلق »[١٠]. والجنيد حينما سئل عن الأنس؛ قال: « ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة »[١١]. وذو النون حينما

(١) اللجائي ، عين الحقيقة ، لوحة رقم ٥٩ .
(٢) انظر: اللجائي، محجة السعادة، لوحة رقم ٢٦ . وأيضا : اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٠٨.
(٣) اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٥٦ . وأيضا: اللجائي ، قطب العارفين ، ٨٧-٨٨ ، ١٤٧.
(٤) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢٦ .
(٥) انظر: اللجائي ، قطب العارفين ، ص ١٤٧.
(٦) انظر: اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٥٦ . وانظر أيضا: اللجائي ، قطب العارفين ، ص ٨٨. وكذلك انظر: العز ابن عبد السلام ، شجرة المعارف ، ص٤٢٠.
(٧) انظر: عز الدين بن عبد السلام السلمي ، الفتاوي الموصلية ، تحقيق إياد الطباع ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ص١٠٢ – ١٠٣ .
(٨) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١١٢ . وأيضا: اللجائي ، قطب العارفين ، ص ١٥٢-١٥٣ .
(٩) اللجائي ، قطب العارفين ، ص ١٥٩ . وأيضا: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١١٢ .
(١٠) الخركوشي ، تهذيب الأسرار ، ص ٨١ .
(١١) الطوسي ، اللمع ، ص ٩٧ .

سئل عن الأنس؛ قال: « هو أن تستوحش من الدنيا ومن الخلق، إلا من أهل ولايته »[١]. وسئل رويم عن الأنس؛ فقال: « سرور القلب بحلاوة الذكر والخطاب »[٢]. والشبلي حينما سئل عن الأنس؛ قال: « وحشتك منك ومن نفسك ومن الكون »[٣]. وأما الغزالي فقد ذهب إلى أن الأنس هو: « استبشار القلب، وفرحه بمطالعة الجَمال »[٤].

هذه المنزلة - الأنس بالله- عدَّها اللجائي من سمات أهل الولاية والمنزلة الرفيعة[٥]، وهي منزلة لا يرقاها -عنده- إلا من سكن قلبه لله وحده، فالقلب إذا سكن لله؛ تآنس به، وإذا سكن لغيره؛ توحش منه، وعلى قدر وحشة العبد من الخلق، ونفوره منهم؛ يكون أنسه بمولاه[٦].

هذه الوحشة للخلق، والنفور منهم عند اللجائي- وغيره من الصوفية-، لا تتم للعبد؛ إلا بدوام الجلوس في الخلوات والعزلة ، فذلك يهيئ للعبد، تلذذ قلبه بذكر الله تعالى بلسان التعظيم والإجلال؛ فيصير الله تعالى له في سره أنيسًا، ويكون له عند ذكره جليسًا[٧].

والأنس عند اللجائي، له علاقة وطيدة بالرجاء؛ ذلك لأن بداية الأنس- كما يقول اللجائي- هي نظر العبد إلى الله تعالى بعين الكرم؛ فيظهر منه الرجاء في كرمه، وحسن الظن به؛ فيزيد الله تعالى من أجل ذلك البسط له، والبسط ضرب من الأنس، بل البسط غصن، والأنس ثماره، وكلما تزايد نظر العبد إلى مولاه بعين الكرم وحسن الظن به؛ زاد أنسه به، على قدر علمه بكرمه ولطفه، فملاحظة كرم الله تعالى وجوده، مدارج بسائط الأنس، كما يقول اللجائي[٨].

وأهل الأنس في الأنس عند الصوفية واللجائي على ثلاثة أحوال:

فمنهم من أنس بالذكر، واستوحش من الغفلة، وأنس بالطاعة، واستوحش من الذنب[٩]، وأهل هذه الدرجة هم العوام.

ومنهم من استأنس بالله، واستوحش مما سواه من العوارض والمخاطر المشغلة[١٠]، وأهل هذه الدرجة هم الخواص.

ومنهم من ذهب عند رؤية الأنس؛ بوجود الهيبة والقرب والتعظيم مع الأنس[١١]. وتلك هي أعلى درجات الأنس عند اللجائي والصوفية، وهي درجة خصوص الخصوص من أهل

---

(١) الخركوشي ، تهذيب الأسرار ، ص ٨١ .
(٢) الخركوشي ، تهذيب الأسرار ، ص ٨٢ .
(٣) الطوسي ، اللمع ، ص ٩٧ .
(٤) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج ٤ ، ص ٣٣٠ .
(٥) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١١٣ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١١٢ .
(٧) انظر: المصدر السابق، ص ١١٢. وانظر أيضا: الخركوشي ، تهذيب الأسرار، ص ٧٨ ، ٨٠. (وتجدر الإشارة هنا، إلى أن الجلوس في الخلوات والعزلة عن الخلق، ليست دائمة ومستمرة، وإنما هي مستحبة فقط لفترات قصيرة من الزمن؛ لأجل تجديد الهمة للإقبال على الله؛ لتحقيق الكمال الروحي، الذي لايمكن أن يتحقق للإنسان إلا في المجتمع). انظر:
J. Nourbakhch, "Le Soufisme son but et sa méthode", in: God and Man in Contemporary Islamic Thought, Charles H. Malik, ed., American University, Beirut, 1972, p. 142.
(٨) المصدر السابق ، ص ١١٢ .
(٩) الطوسي ، اللمع ، ص ٩٧ . وانظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١١٢ .
(١٠) الطوسي ، اللمع ، ص ٩٧ . وانظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١١٢ .
(١١) الطوسي ، اللمع ، ص ٩٧ .

الولاية والمنزلة الرفيعة؛ الذين وصف اللجائي حالهم؛ فقال: « فلا النعمة تشغلهم عن مجالسته، ولا البلوى توحشهم من مؤانسته، لكن لما صفى الود في المُجالسة ؛غابت النعمة في جنب عظمته، وصار وجهه سبحانه مقصودا. ولما طاب طعم المُؤانسة؛ غابت البلوى في جنب عزته، وصار رضوانه مطلوبا »(١).

القرب :

القرب عند الصوفية؛ يعني التقرب إلى الله تعالى؛ بالإقامة على الموافقة لأوامره وطاعته، والاتصاف في دوام الأوقات بعبادته(٢).

ويعد هذا المقام من المقامات المهمة الضرورية، التي تلزم السائرين إلى الله تعالى عند اللجائي؛ ولهذا أوصى كل سالك للطريق أن يطلب هذا المقام، وأن يجتهد- ما دام حيا- في طلبه، وأن يصبر عليه؛ حتى يتحقق به(٣).

هذا المقام يأتي في الترتيب عند اللجائي بعد الأنس؛ إذ القرب ثمرة من ثمراته، ويتوقف حصوله للعبد؛ على تحقيق شرطين:

أولهما: إيمان العبد ويقينه بعناية الله السابقة له في الأزل؛ إذ إن « من كان له عناية في السابقة؛ كان له قرب بعد وجوده »(٤).

وأما الثاني: فهو علم العبد، ويقينه بأن الله عز وجل قريب منه، وأنه تعالى قادر عليه، ومحيط به، وأنه في قبضته، غير خارج عنها(٥).

فإذا ما تحقق للعبد هذان الشرطان؛ كان مهيأً للسعي إلى القرب من الله تعالى؛ فيجتهد في التقرب إليه بالطاعات، ويبتعد عن معصيته؛ وذلك باحكام جوارحه، ووزنها بميزان العقل، وإنزال كل جارحة منزلتها؛ فيصرفها في طاعة الله، ويبعدها عن معصيته؛ فبذلك يظفر بالقرب من مولاه(٦).

ومن علامات حصول القرب عند اللجائي؛ سكن القلب لله وحده، والطمأنينة به، وفقد الاعتماد على غيره(٧). وهي كلها علامات، يكاد مشايخ الصوفية يجمعون عليها(٨).

و أهل القرب في القرب عند الصوفية واللجائي على ثلاثة أحوال:

---

(١) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١١٣.

(٢) انظر: القاشاني ، لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، ج ٢ ، ص ٢٢٩ . وانظر أيضا: القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ١٦٥ . وكذلك انظر: الطوسي ، اللمع ، ص ٨٤ . وأيضا: الخركوشي ، تهذيب الأسرار ، ص ٧٤ .

(٣) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١١٨.

(٤) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١١٤.

(٥) المصدر السابق ، ص ١١٤.

(٦) اللجائي ، عين الحقيقة ، لوحة رقم ٦٩ .

(٧) انظر: اللجائي ، قطب العارفين ، ص ١٣٥. وانظر أيضا: اللجائي شمس القلوب ، ص ١١٤.

(٨) انظر: الخركوشي ، تهذيب الأسرار ، ص ٧٣ ، ٧٥ . وأيضا: أبو سعيد الخراز ، كتاب الصدق ، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٨٨ ، ص ١٢٠ . وكذلك: القشيري، الرسالة القشيرية ، ص ١٦٦ .

فمنهم المتقربون إلى الله تعالى بأنواع الطاعات؛ لعلمهم بعلم الله تعالى بهم، وقربه منهم، وقدرته عليهم. ومنهم من تحقق بذلك، فإذا ما نظر إلى شيء؛ إلا رأى الله تعالى أقرب إليه منه(١). ومنهم من غاب عن القرب بالقرب، بانقطاع الخلق عن قلوبهم وغيابهم؛ بظهور عظمة مولاهم، وسكونهم إليه في حالة النعمة والبلوى، فذهبوا عن رؤية قربهم من الله عز وجل، بقرب الله تعالى منهم، وظهور علامات هذا القرب عليهم(٢)، وهذه الدرجة- كما قال الطوسي- هي أعلى درجات المقربين، وهي درجة الكبراء وأهل النهايات(٣).

المراقبة والحياء :

بعد القرب تأتي المراقبة بوصفها مقامًا مهمًّا من مقامات السائرين إلى الله تعالى عند اللجائي؛ إذ إن العبد السائر إلى الله، بعد أن يتحقق بمقام القرب؛ لابد له من إدامة قلبه على مراقبة الله في جميع أحواله، فهي من أفضل الطاعات التي تقرب العبد من ربه(٤)، بل هي أصل كل خير يتقرب العبد به إلى ربه(٥).

ويحدد اللجائي معنى المراقبة؛ فيقول: « معنى المراقبة دوام قلبك بقرب سيدك منك، وإحاطة علمه بك، واطلاعه على حركة ضميرك، وما يختلج في صدرك، وما تعلقت به همتك، وما انطوى عليه مكنون سرك...تراقبه في طاعتك بعملك، وفي معصيتك بتركك، وفي همتك وخواطرك برعايتك »(٦).

واللجائي في تعريفه هذا للمراقبة؛ لم يخرج عما أورده المحققين من مشايخ الصوفية؛ فالمراقبة عندهم، تعني انصراف قلب العبد عن الخواطر المذمومة؛ لانشغاله بمراقبة الله تعالى، بعد أن علم يقينا أن الله مطلع عليه؛ فلا يصرف قلبه صارف عن طاعته ومراقبته(٧).

وبين من تعريف اللجائي والصوفية للمراقبة، أنها عندهم عمل قلبي، وأنها لا تحصل إلا إذا علم العبد؛ أن الله تعالى مُشاهِدَهُ(٨)، ومطلع عليه في قيامه وقعوده، وحركاته وسكونه، ومجيئه وذهابه، وسره وإعلانه(٩). فهذا العلم هو الأساس الذي تبنى عليه المراقبة عند اللجائي والصوفية؛ والصوفية؛ إذ إن القلب بعد تحصيل العلم بأن الله مُشاهِدَهُ ومطلع عليه، وعالم بما يختلج في سره وضميره؛ يخشع ويركض حياءً وحشمة من الله تعالى؛ فيحجزه ذلك عن معصيته، ويبعده عن السكون لغيره(١٠).

---

(١) الطوسي ، اللمع ، ص ٨٤ . وانظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١١٤.
(٢) انظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١١٥. وانظر أيضا: الطوسي ، اللمع ، ص ٨٤ .
(٣) الطوسي ، اللمع ، ص ٨٤ .
(٤) انظر: الخركوشي ، تهذيب الأسرار ،١٠٣ . وأيضا: القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ٣٣٥ .
(٥) القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ٣٣٢ .
(٦) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢٣ .
(٧) د/ مجدي محمد إبراهيم ، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي ، ص ١٢١ . وانظر: الطوسي ، اللمع، ص ٨٢ . والقشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ٣٣٢ . والخركوشي ، تهذيب الأسرار، ص ١٠٦ .
(٨) اللجائي ، قطب العارفين ، ١٣٦ . (تجدر الاشارة هنا إلى أن اللجائي قد استخدم كلمة المشاهدة بمعنى المراقبة في كتابيه: قطب العارفين ، وشمس القلوب) . انظر: اللجائي ، قطب العارفين ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ . وأيضا: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .
(٩) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١١٩.
(١٠) المصدر السابق ، ص ١١٩ – ١٢٠ .

يقول اللجائي مؤكدا ذلك: « إذا علمت بقلبك أن الله تعالى ناظر إليك، وأنك بعينه حيثما كنت؛ استحييت منه أن يراك حيث نهاك عنه، حتى ولو كنت بين يديه عز وجل من أشرف قومك، فإنك تستحي منه؛ أن يطلع على قبيح عملك؛ لمعرفتك بقربه منك، واطلاعه عليك »[١].

فالحياء عند اللجائي إذًا ،هو الذي يمنع القلب من المخالفة، بعد العلم والمُشَاهَدَةُ، فهو عنها يتشعب[٢]، وهو سر من أسرار الله تعالى، استودعه القلوب، والعبد لا يقع في خطيئة ما لم يسلب هذا السر من قلبه، فإن سلبه الله عز وجل منه؛ فعل العبد من المخالفة ما شاء أن يفعل مما سبق عليه[٣].

فإذا ما استغرق العبد في المراقبة لربه، وراقبه في طاعته بعمله، وفي معصيته بتركها، وفي همته وخواطره برعايته، وأشْهَدَ الله تعالى بإيمانه كأنه يراه، مع وجود الهيبة والتعظيم والإجلال لله تعالى، ورؤية من سواه بعين العدم والتلاشي[٤]؛ نوَّر الله تعالى قلبه بنور بصر وجهه- باستغراق القلب في بحار الهيبة والجلال- وجال فيما شاهد من العظمة والكمال؛ فغاب عن تمييز الخلق؛ باستغراق القلب في تعظيم الحق[٥]، وتلك الدرجة هي أعلى درجات المراقبة عند اللجائي، وقد أورد الطوسي عن أحمد بن عطاء قوله فيها: « خيركم من راقب الحق بالحق في فناء ما دون الحق، وتابع المصطفى ﷺ في أفعاله وأخلاقه وآدابه »[٦].

الصبر :

الصبر عند اللجائي من المقامات المهمة والضرورية للسائرين إلى الله، إنه- فيما يرى- سفينة السالك، التي يجب عليه أن يمتطيها في طريقه إلى الله؛ لتعينه على تحمل الصعاب والمشاق والشدائد والمحن، وكل ما لا يوافق هوى نفسه، مما فيه طاعة وموافقة [٧].

هذا المقام عند اللجائي- وعند غيره من الصوفية- توضع فيه إرادة العبد موضع الاختبار؛ لبيان تحمله لما يلم به في سيره إلى الله، ولاختبار قدرته على هذا الاحتمال في أثناء سيره إلى الله تعالى. ولذلك اهتم الصوفية به، وجعلوه من المقامات الشريفة ،التي لا يمكن الاستغناء عنها في السير إلى الله تعالى[٨]، ولا سيما أن الله تعالى أمر به عباده؛ فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾[٩]. ووعدهم بالثواب والأجر عليه؛ فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى

(١) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢٤ .
(٢) المصدر السابق ، لوحة رقم ٢٤ .
(٣) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٢٠ .
(٤) اللجائي ،قطب العارفين ، ص ١٣٦ .
(٥) اللجائي ، ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢٣–٢٤ .
(٦) الطوسي ، اللمع ، ص ٨٢-٨٣ . (وأحمد بن عطاء هو: أبو عبد الله أحمد بن عطاء بن أحمد الروذباري، ابن أخت أبي علي الروذباري، كان من مشايخ الصوفية في وقته بالشام، وله أحوال اختص بها، وأنواع من العلوم مثل علم القراءات، وعلم الشريعة، وعلم الحقيقة، وكان له أخلاق وشمائل اختص بها، وكان معظما للفقر ملازما لآدابه، محبا للفقراء، وتوفي بصور سنة ٣٦٩ ه) . انظر: أبو عبد الرحمن السلمي ، طبقات الصوفية ، ص ٣٧٠ .
(٧) انظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٢٤.
(٨) انظر: الطوسي ، اللمع ، ص ٧٦ .
(٩) سورة آل عمران ، آية ٢٠٠ .

الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[١]، وجعل معيته للصابرين؛ فقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرُوا ۚ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٢]. بل لقد جمع الله تعالى للصابرين أمورا لم يجمعها لغيرهم من من عباده؛ فقال في حقهم: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[٣]. فلا غرو إذاً؛ أن يكون الصبر مقاما شريفا عاليا عند الصوفية، وأن يصبح كماله؛ مرهونا بألا يفرق بين حالتي النعمة والمحنة، مع سكون الخاطر فيه[٤].

ولقد تعددت تعاريف الصوفية للصبر، فذهب ذو النون المصري؛ إلى أنه هو: « التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى، مع حلول الفقر بساحات المعيشة »[٥]، والجنيد ، لما سئل عن الصبر؛ قال :« هو تجرع المرارة من غير تعبيس»[٦]، وأما أبو طالب المكي؛ فذهب إلى أن الصبر يعني: « حبس النفس عن السعي في هواها »[٧]، وذهب الهروى الأنصاري، إلى أن الصبر: « هو حبس النفس عن جزع كامن عن الشكوى »[٨]، وأما السلمي فقد ذهب إلى أن الصبر هو:«الالتذاذ بأنواع البلاء وحمل مؤنته حتى تنقضي أيامه»[٩]، ورأى المحاسبي أن الصبر يعني: « المقام على ما يرضي المولى عز وجل؛ بترك الجزع »[١٠].

وأما اللجائي، فإن الصبر عنده يعني: « قطع الجزع، واحتمال المكاره، ومفارقة الراحة، ولزوم الكد والاجتهاد »[١١]. فالصبر عنده: « نور يورث زوال ظلمة الجزع، ويبعث النفوس كارهة، على طريق الاستقامة »[١٢]. وهو لا يقع إلا على كراهة في النفس، أو نفرة، أو عجز، أو عصيان، إذا جُذبت لسلوك ضيق طريق الاستقامة[١٣].

والصبر- فيما يرى اللجائي- مطلق على النعم والبلوى، فهو واجب في النعم؛ لئلا تكون النعم سبب غفلة العبد عن الله تعالى، أو تكون له عونا على معصية. وكذلك يجب الصبر على البلوى كي؛ لا يقع العبد في الجزع من مجاري الأقدار[١٤].

والصبر عند اللجائي على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: وفيها يصطحب العبد البلوى بالسكوت عن الشكوى، وقطع اللسان عما يسخط المولى، لكنه يجد في قلبه من البلوى صعوبة وشدة ومرارة، ولا يجد لذة ولا عزوبة[١٥]. وأهل هذه المرتبة، يكون صبرهم على بلائهم، شبه شربة صنعت من علقم وضريع، تؤلم شاربها

(١) سورة الزمر ، آية ١٠ .
(٢) سورة الأنفال ، آية ٤٦ .
(٣) سورة البقرة ، آية ١٥٧ .
(٤) د/أحمد الجزار، فخر الدين الرازي والتصوف، منشأة المعارف، الإسكندرية،٢٠٠٠، ص١٠١.
(٥) القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ٣٢٥ ،
(٦) المصدر السابق ، ص ٣٢٤ .
(٧) المكي ، قوت القلوب ، ج ٢ ، ص ٥٤٣ .
(٨) الهروي ، منازل السائرين ، ص ٤٩ .
(٩) السلمي ، سلوك العارفين ، ص ٥٧٠ .
(١٠) المحاسبي ، القصد والرجوع إلى الله ، ص ٢٦٩ .
(١١) اللجائي ، قطب العارفين ، ص ١٥٩ .
(١٢) المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
(١٣) المصدر السابق ، ص ٩١ .
(١٤) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٢٦ .
(١٥) المصدر السابق ، ص ١٢٨ . وانظر أيضا: اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢٥ .

بمرارة ترويع، لكنه يرى الصبر على شرب الدواء؛ أهون عليه من فقد الصبر على البلاء[١]. وهذه المرتبة هي أخس مراتب الصبر، ويعبر عنها بالتصبر[٢]، ويسمى أهلها بعوام العوام من أبناء الآخرة[٣].

وأما المرتبة الثانية: ففيها يجد العبد في البلوى بعض السهولة، ويجد في مرارتها بعض العزوبة، مع تبرم في القلب وقطع الشكاية[٤]. وأهل هذه المرتبة، يكون صبرهم على بلائهم، شبه شربة صنعت من شيء لم يبالغ في المرارة، ثم مزج بحلاوة، وهذه المرتبة يعبر عنها بالصبر[٥]، وهي أعلى من التصبر[٦]، ويسمى أهلها بعوام أبناء الآخرة[٧].

وأما المرتبة الثالثة: فهي التي تسمى بالاصطبار، وهي أعلى مراتب الصبر؛ لأن العبد يجد فيها التلذذ بالبلوى، والسكون لموضع القضاء، وكتمان الشكوى، والاستبشار باختيار المولى[٨]. وأهل هذه المرتبة؛ يكون اصطبارهم على بلائهم، شبه شربة صنعت من عسل ممزوج بسكر، ويسمى أهل هذه المرتبة بخصوص أبناء الآخرة[٩].

الرضا :

يتفق اللجائي مع غيره من الصوفية ؛على أن مقام الرضا، من أشرف وأعلى مقامات الذاهبين إلى الله تعالى[١٠]. فهو- فيما يرى اللجائي- « من أشرف الطاعات، وأسمى العبادات، وهو من مقامات الصديقين، وسير العارفين»[١١]؛ ولذلك فلا عجب أن يصفه مشايخ الصوفية بأنه « باب الله الأعظم، وجنة الدنيا ومستراح العارفين»[١٢].

ولقد تعددت واختلفت تعاريف الصوفية للرضا، كل حسب حاله وشربه، فهم- كما قال القشيري-: « في العبارة عنه مختلفون، كما أنهم في الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون»[١٣]. فطائفة منهم؛ ذهبت إلى أن الرضا هو السرور بما دبر الله تعالى وقضاه. وذهبت أخرى؛ إلى أن الرضا هو الحب لما قضى الله عز وجل من بلاء أو شدة ، مما ليس فيه تباعد عن الله عز وجل . وقال بعضهم: إن الرضا هو ترك التمني لغير ما قضى الله سبحانه. وقال آخرون: إن الرضا؛ هو أن تعلم أن الله عز وجل، قد اختار لك، وأنه أنظر منك لنفسك ، فإذا علمت أنه قضى لك الخير،

(١) اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٥٧ .
(٢) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٢٨ .
(٣) اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٥٧ .
(٤) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٢٨. وانظر أيضا: اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢٥ .
(٥) اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٥٧ .
(٦) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢٥ .
(٧) اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٥٧ .
(٨) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٢٦ .
(٩) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٢٦ .
(١٠) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٢٩ .
(١١) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢٥ .
(١٢) الخركوشي ، تهذيب الأسرار ، ص١٣٠. وانظر أيضاً : عبد القادر الجيلاني ، الغنية لطالبي طريق الحق ، قدم لها وخرج آياتها محمد خالد عمر ، ج٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، سنة ١٩٩٦ ، ص٤٨٦ – ٤٨٧. وكذلك : القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ٣٣٩ .
(١٣) القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ٣٣٩ .

وأراده بك ؛ فقد رضيت . وقالت طائفة أخرى منهم: الرضا استقبال ما نزل بك من البلاء بالطلاقة والبشر، وانتظار ما لم ينزل بك منه بالفكر والاعتبار(١).

واللجائي لا يخرج في تعريفه للرضا، عما دارت حوله تعاريف الصوفية-على الرغم من اختلافهم في معناه- فهو يحدد معنى الرضا «بأنه سرور يجده العبد في قلبه عند حلول القضاء، وترك الاختيار على الله عز وجل فيما حكم به»(٢).

هذا التعريف للرضا عند اللجائي؛ يؤكد لنا أن الرضا- عنده- هو ثمرة ، ناشئة عن معرفة العبد ويقينه بحسن أفعال الله تعالى كلها، خيرها وشرها، نفعها وضرها. فحصول العلم بذلك، وبأنه تعالى غير جائر في حكمه، وبأنه تعالى يأخذ من العبد؛ ليعطيه، ويبتليه؛ ليجزيه؛ يجعل العبد يرضى باختيار الله تعالى له، وهذا هو أول الرضا، كما يقول اللجائي(٣).

فإذا كان ذلك كذلك، وترك العبد الاختيار لله تعالى؛ أثمر ذلك استعداد قلبه بالفرح والسرور للقضاء قبل أن ينزل، وصحبته حتى يرتحل، والتلذذ ببلاياه، والاستبشار باختياره تعالى(٤)، وذلك دون نفرة ولا اضطراب؛ فتستوي عنده النعم والبلوى؛ ويسكن لجريان الحكم(٥).

فمعرفة الله تعالى وتعظيمه في القلب، وايثاره على النفس، وترك إرادة الهمة، وملازمة إرادته سبحانه، والتسليم له في حكمه. كلها شروط؛ لتحصيل العبد للرضا عند اللجائي(٦). فبتحقيق هذه الشروط؛ يحصل الرضا للعبد؛ فيورثه عزوبة الصعوبات؛ وتعذب في جنبه المرارات، فيفيده السرور بمجاري الأقدار، وينزل الفقر والغنى، والمرض والصحة، والمنع والعطاء، والضر والنفع، والشدة والرخاء، والفقدان والوجدان، عنده بمنزلة واحدة، وتلك من صفات الصفوة من المؤمنين(٧).

والرضا عند اللجائي، يرتبط بمقام الصبر، فالصبر- عنده- يؤدي إلى الرضا؛ لأن الصبر؛ هو حبس النفس عن الجزع؛ الذي يؤدي إلى السخط، فإذا ذهب الجزع، وحصل الصبر؛ زال السخط؛ وحصل الرضا، وصار العبد مطيعا لربه؛ لأن الجزع والسخط معصية، والصبر والرضا طاعة(٨).

ولا شك أن هذا الارتباط والتلازم بين مقام الرضا ومقام الصبر، عند اللجائي وغيره من الصوفية،؛ نابع من أن الاثنين معاً؛ يقترنان بكمال إيمان العبد، وحسن علاقته بربه وقت البلاء والمحن؛ إذ عليه أن يقبل- بنفس راضية وقلب مطمئن- بما نزل به ؛ لأنه قضاء الله وحكمه الذى لا راد فيه، فهذا القبول؛ هو حقيقة مقام الرضا، والثبوت عند نزول البلاء والصبر عليه، وتسليم الأمر كله لله تعالى، ولهذا السبب؛ كان الرضا أعلى درجة من الصبر؛ لأن من رضي؛ صبر، وليس العكس(٩).

وأهل الرضا في الرضا عند اللجائي والصوفية على ثلاثة أحوال:

---

(١) انظر: الخركوشي، تهذيب الأسرار ، ص١٣٠. و أيضا: القشيري ، الرسالة، ص ٣٣٩ – ٣٤٢.
(٢) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢٥ .
(٣) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٢٩ .
(٤) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢٥ .
(٥) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٢٩ .
(٦) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٣٥.
(٧) اللجائي ، قطب العارفين ، ص١٣٨ .
(٨) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٣٤ .
(٩) د/ أحمد محمود الجزار، فخر الدين الرازي والتصوف ، ص١٠٧.

فمنهم من يعمل في إسقاط الجزع ؛حتى يكون قلبه مستويا لله عز وجل، فيما يجري عليه من حكم الله، من المكاره والشدائد والراحات، والمنع والعطاء[١].

ومنهم من ذهب عن رؤية رضائه عن الله عز وجل، برؤية رضا الله عنه، لقوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[٢]، فلا يثبت لنفسه قدم في الرضا، وإن استوى عنده الشدة والرخاء، والمنع والعطاء[٣].

ومنهم من جاوز هذا؛ وذهب عن رؤية رضا الله عز وجل، ورضاه عن الله، لما سبق من الله تعالى لخلقه من الرضا[٤]. وهذه رتبة الصديقين في الرضا بمجاري الأحكام؛ الذين غابوا عن إرادتهم، وبقوا بإرادة مولاهم؛ ففقدوا الإحساس بالنعم والمصائب، فلم يروا لأنفسهم سخطا ولا رضا؛ فارتضوا بالله تعالى بديلا من كل ما سواه[٥].

الصدق والإخلاص:

يعد الصدق من المقامات المهمة والضرورية للسائرين إلى الله تعالى عند اللجائي والصوفية؛ ذلك لأن جميع المقامات في السير إلى الله تعالى تقوم عليه، ولا يمكن الوصول إلى الحضرة الإلهية إلا به[٦].

فالصدق سيف الله تعالى في يد السالك، يقطع به كل ما يعترض طريقه من عوائق، في سيره إلى الله تعالى، ولولاه؛ لما استطاع أن ينطلق في مدارج الترقي؛ ولكان معرَّضًا للوقوف والانقطاع . إنه- كما قال ذو النون-: « سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه »[٧]. فهو- كما قال قال القشيري-: « عماد الأمر- السير إلى الله-، وبه تمامه، وفيه انتظامه »[٨]؛ ولذا جعله اللجائي الأساس الذي تقوم عليه جميع الأعمال في السير إلى الله تعالى[٩].

ولقد استعمل الصوفية الصدق بمعنى « إسقاط حظوظ النفس في الوجهة إلى الله تعالى، أو استواء الظاهر والباطن في الأقوال والأفعال والأحوال »[١٠].

فالصدق عندهم- كما يقول القاشاني-: هو الموافقة للحق في الأقوال والأفعال والأحوال. فأما صدق الأقوال؛ فموافقة الضمير المنطق؛ بحيث يكون الصادق من وصفه ما في قلبه، بما نطق به لسانه. وأما صدق الأفعال؛ فهو الوفاء لله بالعمل من غير مداهنة. وأما صدق الأحوال؛ فاجتماع الهمة على الحق؛ بحيث لا يختلج في القلب تفرقة عن الحق بوجه[١١].

---

(١) الطوسي ، اللمع ، ص ٨٠ . وانظر: اللجائي ، قطب العارفين ، ص ٧٨ .
(٢) سورة التوبة ، آية ١٠٠ .
(٣) الطوسي ، اللمع ، ص ٨١ . وانظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٢٩ .
(٤) الطوسي ، اللمع ، ص ٨١ .
(٥) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٣٥ – ١٣٦ .
(٦) ابن شاهاور الرازي ، منارات السائرين ومقامات الطائرين ، ص ٣٧٧ .
(٧) القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ٣٦٩ .
(٨) المصدر السابق ، ص ٣٦٦ .
(٩) انظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٣٨ .
(١٠) أحمد بن عجيبة ، معراج التشوف إلى حقائق التصوف ، تحقيق د/ عبد المجيد خيالي ، مركز التراث الثقافي المغربي ، الدار البيضاء ، سنة ٢٠٠٤ ، ص ٣٤ . وانظر أيضا: محمد بن علان الصديقي ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، ج١ ، اعتنى به /خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، ط ٤ ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٠٧ .
(١١) القاشاني ، لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام ، ج ٢ ، ص ٥٨ .

واللجائي لا يخرج عن الصوفية في استعمال الصدق بهذا المعنى؛ فالصدق عنده هو الموافقة للحق في الأقوال؛ بقول الصدق، وفي الأفعال؛ بالعمل بالصدق(١)، وفي الأحوال؛ بانصراف الهمة إلى الله تعالى وحده دون سواه(٢).

وقد أكد اللجائي أهمية الصدق؛ فذهب إلى أنه « أساس، والأعمال بنيان يرفع عليه، فإن لم يكن الصدق أساساً؛ تهدَّم بنيانُ الأعمال من قواعده »(٣).

فالصدق عند اللجائي، هو الأساس الذي تقوم عليه جميع أعمال العبد، في سيره إلى الله تعالى؛ ولهذا كان تأكيد اللجائي أن العبد السائر إلى الله تعالى، مطالب بالصدق في جميع تصرفاته ومعاملاته مع الخلق والخالق؛ حتى يتيسر له السير والترقي حتى نهاية الطريق(٤).

وقد حدد اللجائي شروطاً عديدة للصدق، إن لم تتحقق؛ تهدمت أركان الصدق من القلوب:

فمن شروط الصدق عنده؛ تصديق القلب بالإيمان تحقيقا؛ بأن الله عز وجل انفرد بالألوهية وحده، وكل ما سواه فعله، فذلك هو أصل الصدق؛ الذي يؤدي بالعبد إلى الإقرار بوحدانية الله تعالى، وصرف الهمة إليه وحده عن فعله، والسكون إليه وحده(٥).

ومن شروطه أيضا؛ ترك الشكوى في وقت المحنة، وترك المعصية في وقت النعمة، وترك الغفلة في وقت الفكر، والوقوف مع الله تعالى، والتبرؤ ممن سواه، من سكون إليه، واعتماد عليه، وخوف منه ورجاء فيه، ورؤية إجابة الدعاء مكراً واستدراجاً، ورؤية تأخير الإجابة طردا بعداً وحجاباً(٦).

ومن شروط الصدق أيضا؛ ترك الاستعذار عند وجوب الحق، والإنصاف من النفس والأهل والولد، مع إزالة جحد حجة الحق، والركون إلى الباطل. وكذلك من شروطه؛ القول بالصدق، والعمل بالصدق، ولو كان في ذلك تلف النفس والأهل والولد. وكذلك الغيبة عن كل حظ للنفس عاجل أو آجل، إلا ما تمس الحاجة إليه، مع وجود الشوق للقاء، وعذوب القلب عن البقاء، واستغراق الهمة في بحار الجود والمنن، وصحبة النعم بلسان الشكر، وتلقي المحن بالصبر والرضا، مع وجود القصد في الفقر والغنى(٧).

ومن شروط الصدق عنده أيضا، استغناء العبد بربه، مع ترك الرجوع إلى نفسه، ورفض الطلب لما فوق الكفاية، وإزالة رغبة الزيادة مع وجود القناعة . وكذلك طهارة السر لعظمة الله تعالى، وولع القلب في عظمته وكماله، وولع اللسان بشكر نعمائه، وولع العين في إتقان الصنعة في أرضه وسمائه(٨).

ومن شروطه أيضا؛ علم القلب بأن الله تعالى ناظر إلى العبد في قيامه وقعوده، وحركاته وسكناته، ومجيئه وذهابه. وكذلك عزوب القلب عن المحارم والشبهات، ومنع النفس من أخذ ما

(١) انظر: اللجائي ، قطب العارفين ، ص١٤٥ .
(٢) انظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٣٨ . وانظر: اللجائي ، قطب العارفين ، ص١٤٥ .
(٣) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٣٨ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
(٥) المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
(٦) اللجائي ، قطب العارفين ، ص١٤٥ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١٤٥ .
(٨) المصدر السابق ، ص ١٤٥-١٤٦ .

تريد أخذه من الدنيا، إلا ما كان حلالاً، وإجالة الفكر في السوابق، والتحفظ من الطوارق، والوجل من العواقب، والاستعداد للنوائب، والتبرؤ من الحول والقوة، والوقوف مع لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[١].

فإذا ما تحققت هذه الشروط؛ تحقق العبد بالصدق في جميع الأوقات، دون أن يعارضه في صدقه عارض، بحال من الأحوال، فيأخذ حظه من كل مقام سني في سيره إلى الله تعالى؛ حتى يقرب من درجة الأنبياء؛ وحينئذ يسمى صديقاً، وينسب إلى درجة الصديقين من خصوص أبناء الآخرة[٢].

وعن الصدق يتفرع **الإخلاص** عند اللجائي « فالصدق أصل، والإخلاص فرعه، وعلى قدر صدق العبد؛ يكون إخلاصه »[٣].

والإخلاص عند اللجائي؛ يعني التصفية للأعمال من ملاحظة المخلوقين؛ وذلك بأن يقصد العبد من أعماله وجه الله تعالى، ولا يريد بها سواه[٤].

والاخلاص عند اللجائي- وغيره من الصوفية- هو محك صحة وفساد الأعمال كلها. إنه -كما يقول يحيى بن معاذ-: يميز الأعمال من العيوب، كتمييز اللبن من الفرث والدم[٥]، ويصفيها، ويخلصها من الكدورات، كما قال الجنيد[٦]، ويحفظها- كما يقول المحاسبي- من الانتقاص والآفات؛ ولهذا فهو واجب في جميع الأعمال[٧]؛ ولذلك ذهب اللجائي إلى أن « كل عمل لم يمازجه الإخلاص؛ فهو مردود على عامله، بل النار أولى به »[٨].

فالأعمال- كما يقول اللجائي-: جسد والإخلاص روحه، وكل جسد لا روح فيه؛ فهو جيفة، وعاقبته الطرح لا محالة ، ومن ثم فمن عمل عمل لله تعالى بلا إخلاص؛ فهو عمل منقوص، ومردود على صاحبه[٩].

الخوف والرجاء:

الخوف والرجاء من أجلِّ منازل الطريق، التي تلزم السائرين إلى الله تعالى عند الصوفية . فأحمد ابن عطاء، حين سأل عنهما؛ قال: « إن الخلق بالرجاء والخوف مُؤْذَنُون، وما دام العبد لم يترق في طرقهما، ولم يترق من بينهما؛ لم يصل إلى حقيقة حقهما، ويكون مرتبطا بما لاحاصل له فيهما على الحقيقة »[١٠]. والطوسي رأى أنهما « زمامان للنفس؛ حتى لاتخرج إلى رعوناتها من الإدلال والأمن، واليأس والقطع »[١١]. ورأى الغزالي أنهما: «جناحان؛ بهما يطير المقربون إلى

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٦ .
(٣) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٥١ .
(٤) انظر: المصدر السابق ، ص ١٤٩ . وانظر: القشيري: الرسالة القشيرية ، ص ٣٦٠ .
(٥) الخركوشي ، تهذيب الأسرار ، ص١٨٠.
(٦) المصدر السابق ، ص١٨٣. وأيضاً : الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج٤ ، ص٣٧٠.
(٧) المحاسبي ، كتاب القصد والرجوع إلى الله ، ص٢٥٩.
(٨) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٥١ .
(٩) المصدر السابق ، ص ١٤٩ .
(١٠) الطوسي ، اللمع ، ص ٩٢ .
(١١) المصدر السابق ، ص ٩٢ .

كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كئود »[١]؛ ولذا فإن اللجائي؛ ألزم الذاهبين إلى الله تعالى بهما؛ فهما عنده « حق واجب على العباد »[٢].

فأما الخوف عند اللجائي والصوفية، فهو من شرائط الإيمان؛ إذ فرضه الله تعالى على عباده؛ فقال: ﴿ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

وهو يعني عندهم- أي الصوفية ومنهم اللجائي- انزعاج القلب من حدوث مكروه، أو فوات مرغوب في المستقبل[٤]. « فإن من أيقن شيئا يسوؤه؛ خافه، وأشفق منه على نفسه »، كما يقول اللجائي[٥].

فمعرفة العبد- عند اللجائي- ويقينه بأن مولاه جل شأنه له نقمة لا طمأنينة للعبد منها؛ هي التي تدفع العبد إلى الخوف[٦]؛ فيكون الخوف بمثابة الصوت، الذي به يزجر قلبه؛ للهرب من الأمن والطمأنينة، والحذر من الوعيد، والاعتزال عن المعصية، والإقلاع عن القبائح[٧].

والخوف عند اللجائي، له ارتباط بالحزن والورع والتقوى؛ فكلها- فيما يرى-تشترك في المعنى نفسه (الخوف)، إلا أنها تختلف في الأسماء؛ فالعبد إن خاف من الشبهات والمحارم ونبذها وراء ظهره عن نفسه؛ سمي الخوف في هذا الموضع ورعا. وإن خاف العبد ما يسقطه من عين مولاه؛ سمي الخوف في هذا الموضع تقوى. وإن عزل الخوف السرور عن العبد؛ من أجل التقصير ومقاربة المعصية؛ سمي الخوف في هذا الموضع حزنا. وإن تداعى الجسد بتوجع مواقعة الذنب، ورأى العبد نفسه في النار، وضاق صدره بالخوف، وطرأ عليه الصعق والغشية؛ سمي ذلك الخوف مخلصا من الأسماء التي تشاركه في المعنى قبل بلوغ هذه الحالة[٨].

والخوف فيما يرى اللجائي، على مقامين[٩]:

أحدهما الخوف من عذاب الله تعالى، وهو يتأتى للعبد؛ من مطالعة عاقبة الذنوب، والنظر إلى الوعيد، والخشية من صدمة العذاب، وهذا الخوف المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾[١٠]، وهو مقام العوام من أبناء الآخرة[١١].

ولقد حدد اللجائي شروطا، بها نعرف صدق الخائف في هذا المقام؛ فقال: « فشرطه مفارقة المعاصي، والهروب من الشبهات، والارتفاع عن الشهوات، والدخول في الطاعة بحزم

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج ٤ ، ص ١٣٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٤، ١٦٥ .
(٣) سورة آل عمران ، آية ١٧٥ .
(٤) أحمد بن عجيبة ، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ص ٢٨ . وانظر أيضا: القشيري ، الرسالة القشيرية، القشيرية، ص ٢٣٤ . وكذلك: الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج ٤ ، ١٥٢ .
(٥) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٥٧ .
(٦) انظر: المصدر السابق ، ص ١٥٧ .
(٧) اللجائي ، قطب العارفين ، ص ١٥٩ .
(٨) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٥٧- ١٥٨ .
(٩) (على الرغم من أن اللجائي في حديثه عن أقسام الخوف، يكاد يتفق تماما مع ماذكره الغزالي بشأنها في كتابه كتابه إحياء علوم الدين ، فإن هذا لايعني أن اللجائي قد نقل عن الغزالي، أو تأثر به في ذلك، فالتجربة الصوفية لدى كل منهما مختلفة عن الأخرى، وكل صوفي منهما يعبر عما يشعر به؛ من خلال تجربته الشخصية التي تخصه). انظر أقسام الخوف عند الغزالي في: إحياء علوم الدين ، ج ٤ ، ص ١٥٥- ١٥٦ .
(١٠) سورة النور ، آية ٣٧ .
(١١) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٥٧ . وانظر أيضا: اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٥٨ .

واجتهاد، وانكسار القلب من الوقوف بين يدي الله تعالى، بكتاب له باطن ملطخ، وظاهر موسخ، مملوء بالقبائح، مختوم على الفضائح »[١].

وأما المقام الثاني للخوف: فهو الخوف من الله تعالى، وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٢]، وهذا النوع من الخوف؛ هو خوف الخواص[٣]، الذين يختلف خوفهم عن خوف العوام؛ بأن خوفهم؛ يكون من « هيبة الجلال، والسقوط من عين ذي العظمة والكمال »[٤].

فهؤلاء- فيما يرى اللجائي- نظروا بنور فكرهم في العظمة والجلال، والعزة والكمال، والحكمة والاقتدار، وإتقان صنائع الجبار جل شأنه، ولم تنظر بصيرتهم لخوف عذاب، ولم يشغلوا فكرهم بخوف عقاب، وطرحوا نفوسهم بين يديه جل شأنه، وأبت قلوبهم النظر إلا إليه؛ فسكنت نفوسهم تحت ظل أقداره سكونا مجردا عن خوف الوعيد، ولم يبق لهم خوفاً إلا البعد والحجاب؛ فاستنشقت نفوسهم نسيم الهيبة والتعظيم؛ وغابوا عن الخوف من عقابه، والرجاء في ثوابه[٥].

وهذا المقام الأخير من الخوف عند اللجائي، هو أعلى مقامات الخوف، وأصحابه- كما يقول اللجائي- هم مشايخ العارفين من السالكين السادات والأكابر[٦].

على أن الخوف عند اللجائي يقتضي **الرجاء**؛ إذ لا خوف للعبد بغير رجاء، فالعبد واجب عليه؛ ألا يأمن مكر الله تعالى؛ بالخوف منه، وألا يقنط من رحمته؛ بالرجاء في رحمته وغفرانه[٧]. فالخوف يلزمه دائما الرجاء؛ لتبريد حرارة الخوف في القلوب؛ وحتى لا يفضي إلى القنوط[٨].

فالخوف والرجاء؛ هما بمثابة جناحين يطير بهما العبد المؤمن في سيره إلى الله تعالى، فإن استويا؛ استوى السير، وإذا نقص أحدهما؛ لم يستو له السير. إنهما -على حد تمثيل الروزباري: « كجناحي الطائر، إذا استويا؛ استوى الطيران، وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما؛ وقع فيه النقص، وإذا ذهب؛ صار الطائر في حد الموت »[٩].

والرجاء يعني -عند الصوفية- سكون القلب، وتعلقه بمحبوب، سيحصل في المستقبل؛ بشرط السعي في أسبابه، وإلا كان أمنية وغرورًا[١٠].

واللجائي يكاد لا يخرج عن هذا المعنى للرجاء عند الصوفية، فهو- عنده- يعني تعلق همة العبد بمولاه، وطمعه في رحمته وغفرانه، وكرمه وفضله وإحسانه، وعدم اليأس والقنوط من رحمته[١١].

---

(١) اللجائي ، قطب العارفين ، ص ٩٦ .
(٢) سورة النحل ، آية ٥٠ .
(٣) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٥٧ .
(٤) اللجائي، عين الحقيقة، لوحة رقم ٥٩. وانظر أيضا: اللجائي، شمائل الخصوص، ص٥٧- ٥٨.
(٥) اللجائي ، قطب العارفين ، ص ٩٩- ١٠٠ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .
(٧) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٦٥ .
(٨) اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٥٨ . وأيضا: اللجائي ، قطب العارفين ، ص ٨٣ ، ١٥٩.
(٩) القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ٢٤٥ .
(١٠) انظر: أحمد بن عجيبة ، معراج التشوف إلى حقائق التصوف ، ص ٢٨ . و أيضا: القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ٢٣٤ .
(١١) انظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٦٥ . و أيضا: اللجائي، شمائل الخصوص، ص ٥٨.

ولقد استدل اللجائي على وجوب الرجاء على العباد؛ بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[١]، فهذه أرجى آية في كتاب الله كما يقول[٢].

والرجاء عند اللجائي على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: رجاء أبناء الدنيا، الذين تعلق رجاؤهم برحمة الله تعالى؛ لعلمهم أنه تعالى له رحمة وسعت كل شيء، فطمعوا فيها، وهم ملازمون الذنوب، ومواظبون على العيوب، وعقدة الإصرار معقودة في قلوبهم، وأعمال الطاعة عندهم مفقودة، فرجاؤهم بالرحمة متصل، واعتقادهم عن أعمال البر منفصل؛ فصاروا شبه طالب الحصاد بلا بذر، أو كتاجر السفينة بلا بحر، فهو بذلك مُتَمَنٍّ، ومن يتمن على الله الجنة، وهو مجانب لطاعته، وراكب لمعصيته؛ فهو أحمق لا محالة، كما يقول اللجائي[٣].

وأما الوجه الثاني: فرجاء عموم أبناء الآخرة، الذين تعلقت همتهم بمولاهم، وكان رجاؤهم غفران الذنوب، وستر العيوب، والحلم عند الوقوف، والنجاة من الجحيم، والوصول إلى النعيم، مع تهوين سكرات الموت، والنجاة من فتنة القبر، مع الاشتغال بمفارقة الذنوب، والزهد في الدنيا، مع بذل المجهود في أعمال البر، وانتظار الفرج من الكروب[٤].

وأما الوجه الثالث: فرجاء الخصوص، الذين انصرف رجاؤهم عن الخلق إلى الخالق؛ لتسهل عليهم صعوبة الأوعار التي ردت الخلق عنه سبحانه، فكلما بذلوا المجهود في الدنو منه بقلوبهم؛ رجوه أن يتلقى قلوبهم بلطفه، ويجعل لها مسلكا تسير عليه إليه، وأن يشوقهم إلى رؤية وجهه الكريم ؛حتى يغيب عنهم الفرح والسرور بشهوده ووجود بلائه، وينسيهم طلب فضله ونعمائه بوجوده تعالى[٥].

فهؤلاء رجاءهم كما يقول اللجائي: « الطمع في رحمة الرحيم؛ ليصلوا إلى الكريم لا إلى النعيم، فيتنعمون في بحر الجود والألطاف؛ فيسكرون من شراب أنسه، ويفتخرون بمعرفته، ويتلذذون بوجوده؛ فتسكن قلوبهم إليه، وتقبل هممهم كلها عليه؛ فينسون أنفسهم، وما تطلب من نعيم، ويغيبون عن مناضلتها، وما تحذر من جحيم »[٦].

وهذا الوجه الأخير للرجاء، هو أعلى درجات الرجاء عند اللجائي؛ إذ إن العبد يغيب عن فضله تعالى بوجوده سبحانه، وهذا أعظم؛ لأنه سبحانه أجل من فضله[٧].

الشكر:

من المقامات المهمة التي تلزم السائرين إلى الله تعالى عند اللجائي مقام الشكر، الذي أمر الله تعالى به عباده، ونهى عن ضده (الكفر)، فقال تعالى : ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[٨] . وقرنه

(١) سورة الزمر ، آية ٥٣ .
(٢) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٦٥ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٧١.
(٤) المصدر السابق ، ص ١٦٩. وانظر أيضا: اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٥٨ .
(٥) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٦٦ .
(٦) اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٥٨ .
(٧) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٦٦ .
(٨) سورة البقرة ، آية ١٥٢ .

بالإيمان؛ فقال تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾[١]. وتكفل سبحانه بجزاء الشاكرين وإعطائهم المزيد؛ فقال تعالى: ﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾[٢]، وقال أيضا: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[٣].

فالشكر لازم ضرورة للعبد في حق الرب عند اللجائي؛ لما أسبغ عليه من النعم[٤]؛ إذ إن إدراك العبد وعلمه بأن الله تعالى ابتدأه بنعمه، وتفضل عليه بإحسانه، وصور جسمه، وركب بين جوارحه لتجر النفع عليه، ووهب له من العقل؛ ما أعانه على سياسة الدنيا، وامتثال أمر مولاه، الذي يجود بإحسانه عليه، وليس ذلك بواجب عليه، يدفعه إلى شكر المنعم سبحانه، والاعتراف له بالمنة والتعظيم والإجلال[٥].

فحقيقة الشكر عند اللجائي إذًا، هي علم العبد، ومعرفته، وإدراكه للنعم التي أنعم الله تعالى عليه بها، فبدون هذا العلم والمعرفة؛ لا يمكن أن يتم الشكر؛ لأن « من لا يعرف قدر النعمة وإحسان الله عز وجل بها إليه؛ لا يصلح للشكر، ومن عرف النعم، وألطاف الله عز وجل بها عليه؛ لم يخرج عن الشكر»[٦]. وعلى قدر معرفة العبد بمولاه، ومعرفة خساسة منزلته، وغنى الله عز وجل عنه؛ يكون شكره لنعم الله التي أسبغها عليه[٧]؛ وذلك بالإقبال عليه تعالى وطاعته؛ بامتثال أمره، واجتناب معصيته[٨].

والشكر عند اللجائي على ثلاثه أوجه: شكر بالقلب، وشكر باللسان، وشكر بسائر الجوارح . فأما شكر القلب؛ فهو أن يعتقد ويتيقن، أن النعم كلها من الله وحده، وأنه تعالى أنعم عليه بها، دون أن يكون في إنعامه عليه بها حاجة [٩]. وأما شكر اللسان؛ فهو الاعتراف بالمنة والفضل والإجلال لله تعالى؛ بتسبيحه وتحميده والثناء عليه بالكلام[١٠]. وأما شكر الجوارح؛ فيكون بتسخير جميع الجوارح؛ في طاعة الله تعالى، والبعد عن معصيته[١١].

وبذلك يكون الشكر عند اللجائي– كما هو عند غيره من الصوفية – متعدِّيَاً إلى البدن تعديه إلى القلب واللسان، فشكر القلب؛ أن يوقن الإنسان أن النعم كلها من الله وحده، وشكر اللسان؛ يستلزم منه الحمد لله والثناء عليه؛ بذكر إحسانه، وشكر البدن؛ ألا يستعمل جارحة أحسن الله خلقها في معصية ؛ إذ الأولى أن يطيع الله طاعة كاملة[١٢].

والناس في الشكر عند اللجائي على ثلاث درجات:

---

(١) سورة النساء ، آية ١٤٧ .
(٢) سورة آل عمران ، آية ١٤٥ .
(٣) سورة إبراهيم ، آية ٧ .
(٤) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٧٢.
(٥) انظر: اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢٥ .
(٦) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٧٢ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١٧٦ .
(٨) انظر: المصدر السابق ، ص ١٧٣-١٧٤ .
(٩) انظر: المصدر السابق ، ص ١٧٧ . وانظر أيضا: اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢٥ .
(١٠) انظر: اللجائي، محجة السعادة ، لوحة رقم ٢٥-٢٦. و أيضا: شمائل الخصوص، ص ٥٩.
(١١) انظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٧٥.
(١٢) انظر: د/ أحمد الجزار، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط ١، ١٩٩٩ ، ص١٦٩.

الأولى درجة شكر العوام من أبناء الآخرة، الذين إذا أحدثت لهم النعم، وظهرت عليهم؛ تلقوها بالشكر باللسان، مع حضور القلب والجنان، وزوال الغفلة عن الشكر(١).

والثانية درجة شكر الخواص من أبناء الآخرة ،الذين إذا أحدثت النعم لهم؛ لم يخرجوا عن عقد الشكر، لكنهم تحققوا أن الشكر المحض؛ هو العجز عن الشكر بعد بذل الجهد؛ لأنهم عرفوا أن الشكر لا يحتمله عقل، ولا يوسعه قلب، ولا يحيط به فهم، ولا يقوم به أحد؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾(٢)، إشارة ودلالة منه تعالى، على العجز عن إحصاء النعم وعدِّها، فعلم ضرورة العجز عن القيام بحقها وشكرها، وأن الخلق قد يعجزون عن شكر نعمة واحدة؛ فتحققوا أن الشكر المحض؛ هو العجز عن الشكر(٣).

والثالثة درجة شكر خواص الخواص، الذين تغلغلوا في بحر المنن، والحيرة في فكر ما أراد لهم مولاه، وتلاشت النعم في جنب عزة المنعم(٤). فهؤلاء لما غرقوا في بحر العظمة؛ غابوا عن النعم بمشاهدة المنعم؛ فلم يروا نعمة ولا محنة إلا الله تعالى(٥).

المحبة:

تعد المحبة لله تعالى -عند اللجائي وغيره من الصوفية- من أهم المنازل التي تلزم السائرين إلى الله تعالى؛ ذلك لأنها أساس التجربة الصوفية، والمحرك الرئيس للطريق إلى الحق المطلق(٦). المطلق(٦).

إنها- كما يقول الغزالي-: « الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات »(٧). بل هي- كما يقول ابن الدباغ-: « أصل جميع المقامات والأحوال؛ إذ المقامات كلها مندرجة تحتها، فهي إما وسيلة إليها، أو ثمرة من ثمراتها »(٨).

إنها بمثابة الروح للمقامات والأحوال-على حد قول ابن قيم الجوزية- متى خلت منها؛ فهي كالجسد الذي لا روح فيه، فهي مطية السائرين إلى الله تعالى في سيرهم، بها يصلون إلى منازل لم يكونوا أبدا واصليها، ويتبوؤن بها مقامات، لم يكونوا- لولاها- داخليها(٩).

لهذا كان اهتمام صوفية الإسلام بها؛ فجعلوها المحور الرئيس، الذي تدور عليه رياضاتهم ومجاهداتهم في سيرهم إلى الله تعالى، فألَّفوا فيها المصنفات والرسائل، وتضمنت مصنفاتهم، العديد من تعريفات الشيوخ لها، منها ما يكشف عن حدها، ومنها ما يكشف عن طبيعتها، وهي - على كثرتها وتعدد أصحابها- تبيّن لنا مدى اختلاف الصوفية في حدها، وتباينهم في العبارة في

(١) اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٥٩ . وانظر أيضا: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٧٨ .
(٢) سورة النحل ، آية ١٨ .
(٣) اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٥٩ . وانظر أيضا: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٧٧ .
(٤) اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٦٠ . وانظر أيضا: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٧٨.
(٥) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٧٧-١٧٨ .
(٦) انظر:
J. Nourbakhch, "Le Soufisme son but et sa méthode", in: God and Man in Contemporary Islamic Thought, p. 132.
(٧) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج ٤ ، ص ٢٨٦ .
(٨) ابن الدباغ ، مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب ، تحقيق/ هيليموت ريتر ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ١٩ .
(٩) ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، ج ٣ ، ص ٨-٩ .

الكشف عن طبيعتها؛ إذ إن كل واحد منهم، إنما يعبر على حسب ذوقه منها، وينطلق بمقدار حاله وتجربته.

فمن قبيل هذه التعريفات للشيوخ للمحبة- فيما يذكر القشيري في رسالته- أن بعضهم قال: المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم. وقيل أيضا: المحبة إيثار المحبوب على جميع المصحوب. وكذلك قيل: المحبة موافقه الحبيب في المشهد والمغيب. وقيل أيضا: المحبة محو المحب لصفاته، وإثبات المحبوب بذاته. وقال سهل التستري: الحب معانقة الطاعة، ومباينة المخالفة. وسئل الجنيد عن المحبة؛ فقال: دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب(١). والشبلي سئل عن المحبة؛ فقال: كأس لها وهج، إذا استقر في الحواس، وسكن في النفوس؛ تلاشت(٢). وابن الدباغ ذهب إلى أن أجود حد للمحبة، أن يقال: هي ابتهاج، يحصل للنفس عن تصور حضرة ذات ما(٣). وذهب لسان الدين بن الخطيب إلى أن محبة المخلوق للخالق؛ هي حالة تنزل بالقلوب المستبصرة؛ فتفرغ أشغالها إلى المحبوب الحق، وتقصرها عليه، وتولعها بالقرب منه، والتخلق به من غير ميل من قلبه إليه(٤).

وأما اللجائي فإن المحبة عنده تعني: « عزوب القلب عن الكونين- نعيم الدنيا ونعيم الآخرة- وإقباله بكليته على مكونهما، وتلاشى البلاء في جنب المحبوب، والتنعم بذكره، وصرف الهمة عن غيره »(٥).

وتبين من هذا التعريف للمحبة عند اللجائي؛ أنه يشترك مع غيره من التعريفات التي قدمها الصوفية للمحبة-على كثرتها- في الغرض الأسمى الذي ترمي إليه هذه التعريفات كلها؛ وهو فناء الإنسان عن نفسه، وإنكاره لذاته، وبقاؤه في ربه، وإثباته لربه؛ بالتجرد عن شهوات الحس، والتخلص من نزوات النفس، والإقبال على الله تعالى؛ بكنه الهمة، والإعراض عن كل ما سواه(٦). سواه(٦).

وقد بيَّن اللجائي، أن المحبة لله تعالى، لا تكون إلا لعباد الله المؤمنين، فهي ثابتة في حقهم؛ لقوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾(٧)، فما من عبد يؤمن بالله عز وجل، إلا وهو محب لله تعالى، ومحبته تكون على قدر إيمانه ومعرفته(٨).

فالإيمان بالله تعالى والمعرفة به- عند اللجائي- هما شرطان أساسيان لحصول المحبة لله، والتفاوت فيها بين العباد؛ إذ لا يتصور أن يكون هناك محبة لله تعالى، إلا بعد الإيمان والمعرفة به، « فمتى تقوَّى إيمان العبد، وتزايدت معرفته وإيمانه؛ تزايدت محبته بقدر ذلك »(٩).

هذه المحبة لله تعالى عند اللجائي، إذا أراد العبد الدخول فيها؛ يجب عليه أن يهيئ نفسه لذلك؛ بأن يبتدأ برفض الدنيا من قلبه، وأن يجعل إرادته تبعا لإرادة سيده(١)؛ فحينئذ يتهيأ قلبه لمحبة

(١) انظر: القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص ٥٢١ .
(٢) السهروردي ، عوارف المعارف ، ج ٢ ، ص ٣٠١ .
(٣) ابن الدباغ ، مشارق أنوار القلوب ، ص ٢٢ .
(٤) لسان الدين بن الخطيب ، روضة التعريف بالحب الشريف ، تحقيق/عبد القادر أحمد عطا ، دار الفكر العربي العربي ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٣٩٥ .
(٥) اللجائي ، قطب العارفين ، ص ١٣٧-١٣٨ .
(٦) انظر: محمد مصطفى حلمي ، الحب الإلهي في التصوف الأسلامي ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٠، ص ٣٢ .
(٧) سورة البقرة ، آية١٦٥ .
(٨) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٧٩. وأيضا: اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة ٢٨ .
(٩) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٧٩ .

سيده، فيتأمل بقلبه نعم الله ومننه وإحسانه إليه؛ فتظهر له أول المحبة، فإذا داوم القلب على ذلك وعرف إحسانه تعالى؛ تزايدت محبته تعالى، ورسخت في القلب؛ لأن القلوب-كما يقول اللجائي- مجبولة على حب من أحسن إليها(٢).

ولمحبة الله تعالى في القلوب- عند اللجائي- شواهد وعلامات(٣)، منها دخول العبد في خدمة مولاه جل شأنه- بعد معرفه إحسانه- بطيب نفس، بلا وجود شدة أو صعوبة؛ لأن الحب يُسهّل عليه خدمة محبوبه(٤). وإيثار العبد لطاعة مولاه، وترك معصيته، والولوع بذكره تعالى(٥)، وكذلك محبة رسوله وأوليائه؛ إذ إن محبة الأولياء؛ تفضي بصاحبها إلى نصيب مما يناله الأولياء من الله تعالى(٦).

وأهل محبة الله تعالى عند اللجائي على ضربين:

الضرب الأول: الذين أحبوه؛ لأجل إحسانه إليهم، ولطفه بهم، وهذه هي محبة العوام من أبناء الآخرة(٧). وشرطها- كما روي عن سمنون الخواص- حينما سئل عن المحبة؛ فقال: صفاء الود مع دوام الذكر؛ لأن من أحب شيئا؛ أكثر من ذكره(٨).

وأما الضرب الثاني: فهم الذين أحبوه؛ لأجل عظمته وجلاله، وعزته وسلطانه، فإن ابتلاهم أو عافاهم؛ لم تتغير محبته من قلوب أحبابه، فهي محبة لا يُنقِصها البلاء، ولا تزيدها النعماء(٩). إنها- فيما يقول اللجائي-: « محبة ثابتة في قلوبهم، بلا عوض ولا مثوبة، فهم أحبوه كما هو أهل أن يحب، وجلوه كما هو أهل أن يجل، وعظَّموه كما هو أهل أن يعظم. فلو كانت الجنة بين أيديهم مزخرفة، والنار بارزة، فأدخلهم النار مثلا؛ ما نقص من حبهم له دخولهم النار ذرة. ولو أدخلهم الجنة مثلا؛ ما زاد دخولهم الجنة في محبتهم له ذرة. فإن محبتهم تتلاشى في جنبها البلوى، وتغيب في جنبها النعمة؛ من أجل حبهم له بلا عوض ولا مثوبة، وإنما أحبوه؛ لأنه هو الله سبحانه »(١٠). وهذه الدرجة من المحبة عند اللجائي، هي درجة محبة الخصوص من أبناء الآخرة(١١).

---

(١) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة ٢٩ .
(٢) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٧٩ . وأيضا: اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة ، ٢٨-٢٩ .
(٣) (تجدر الاشارة هنا إلى أن شواهد وعلامات المحبة لله، قد عددها الصوفية في كتبهم ، وقد اختلفت وتباينت؛ لاختلاف تجاربهم وذوقهم ، إلا أن ماذكره اللجائي من شواهد وعلامات دالة عليها، يكاد يكون نفس ماذكره صاحب قوت القلوب). انظر: أبو طالب المكي ، قوت القلوب ، ج٢ ، ١٠٥٠- ١٠٥٥ .
(٤) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٨٠ .
(٥) اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة ٢٩. وهنا تجدر الإشارة إلى أن صوفية المحبة قد أجمعوا على أن الطاعة لله من علامات وشواهد المحبة لله تعالى، فالطاعة لله صفة لازمة عندهم للعبد المحب لربه، بوصفه المحبوب على الحقيقة وحده، بل إن ابن عربي قد جعل هذه الطاعة للمحب الحقيقي لله، شرطًا لازمًا لبلوغ المحب لله أعلى درجات الوصول في المحبة ؛ بدليل قوله:

كن إذا أحببت عبدًا للذي تهوى مطيعا
لن تنال الوصل حتى تلزم النفس الخضوعا

ــ انظر: د/ أحمد محمود الجزار ، الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي ، ص ٨٢-٨٣ .
(٦) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٨٠ .
(٧) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٨٢ . وانظر: اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٦٠-٦١ .
(٨) الطوسي ، اللمع ، ص ٨٦ . وانظر أيضا: اللجائي ، محجة السعادة ، لوحة ٢٩ .
(٩) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٨٢ .
(١٠) اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٦١ .
(١١) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٨٢-١٨٣ .

وقد ذهب اللجائي إلى أن أهل هذه الرتبة في المحبة من الخصوص على نوعين: فمنهم من تنحل أجسامهم من حرقة المحبة، وتتغير ألوانهم. ومنهم من تسمن أجسامهم؛ إذا مازجها السرور بشهوده تعالى، والغياب عن نعمته وبلائه(١). وتفسير ذلك عند اللجائي؛ أن المحب من أهل هذه الدرجة إذا نظر لمولاه بعين المحبة، وخوف زوال المعرفة؛ وقع به النحول بجسمه، والتغير في وجهه، وإن نظر إليه بعين المحبة والسرور به؛ سمن جسمه؛ وسار السرور له طعاما لا نحول معه(٢).

ومن الواضح أن محبة الخصوص عند اللجائي، هي أعلى درجات المحبة لله تعالى ؛ ذلك لأن المحبين من أهل هذه الدرجة من الصديقين والعارفين، من فرط استغراق قلوبهم في محبة مولاهم ومحبوبهم بلا علة؛ غابوا عن أنفسهم، وزالت عنهم رسومهم، وبقوا بربهم، فلم يخافوا فقرا ولا فاقة ولا بلاء؛ فجعلوا أمرهم مفوضا إلى محبوبهم ومولاهم؛ فطاب لهم مذاق مراره أحكامه لمحبتهم له؛ التي غسلت قلوبهم من الالتفات إلى غيره، والسكون إلى سواه(٣).

الفناء في التوحيد:

بعد المحبة، يأتي الفناء في التوحيد عند اللجائي بوصفه غاية قصوى للسائرين إلى الله تعالى، فهو غاية سيرهم ومجاهداتهم، ومنتهى مآربهم، منذ أن وضعوا أقدامهم على أول الطريق.

ولبيان حقيقة الفناء في التوحيد، وجدنا اللجائي بوصفه صوفيًّا مسلمًا، ينطلق إلى بيان التوحيد بمعناه الإيماني العقدي أولاً، سالكا في ذلك مسلك المتكلمين النظري العملي في تعريفه، جاعلاً ذلك قاعدة وأساساً لبيان حقيقة الفناء في التوحيد، أو التوحيد الصوفي القائم على الذوق والوجد(٤).

فهو يفتتح الباب الذي خصصه للحديث عن التوحيد في كتابه شمس القلوب، بالحديث عن مفهوم التوحيد الإيماني العقدي أولاً؛ فبين لنا بداية أن التوحيد، هو جوهر الدين وأساسه الركين؛ فقال: « التوحيد أول أساس بني عليه الإسلام »(٥).

ثم بين لنا أن أصل كلمة التوحيد كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله)، وأنها تعني « إثبات الحق سبحانه، ونفي ما سواه من ند وضد وشريك، والتبرؤ منه بيقين ثابت في القلب؛ إذ ليس في السماوات العلى والأراضين السفلى إله غير الله، ولا مدبر سواه »(٦).

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٣ .
(٢) المصدر السابق ، ١٨٥ .
(٣) انظر: المصدر السابق ، ص ١٨٥- ١٨٦ . وانظر أيضا: اللجائي ، قطب العارفين ، ص ١٣٧-١٣٨ . وكذلك: اللجائي ، شمائل الخصوص ، ص ٦١ .
(٤) (تجدر الإشارة هنا، إلى أن الجنيد البغدادي، كان أول من تحدث عن التوحيد بهذا المعنى في التصوف الإسلامي ، فقد طرق لأول مرة مسائل التوحيد كعلم له أسسه الذوقية، ونقله مع أستاذه الحارس بن أسد المحاسبي من ميدان الكلام والعقائد الموروثة، إلى ميدان التجربة الروحية والتذوق الحيوي؛ فأصبح التوحيد على يديه شعوراً يحس ويذاق، شعوراً خاضعاً لتجربة الفعل والممارسة) . انظر: د/ مجدي محمد إبراهيم ، مقدمة تحقيقه لكتاب السر في أنفاس الصوفية، للإمام أبي القاسم الجنيد، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٤ ، ص ٦٥ .
(٥) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٨٧ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

فهو تعالى ليس معه ثان في ملكه، ولا شريك له في أمره، بل هو واحد فرض صمد، ليس بعدم الخلائق كان واحدا على الإطلاق، ولكن بثبوت القدرة له، والغلبة والقهر والعظمة والجلال والخلق والأمر كان واحدا على الإطلاق(١).

ويستمر اللجائي في بيان التوحيد بمعناه الإيماني العقدي؛ فذهب إلى أن من أصوله، التي يجب على العبد اعتقادها؛ أن يفرق صفات القديم جل شأنه عن صفات الحدث(٢)؛ ذلك لأن « من لا يعرف تنزيه القديم عن صفات الحدث؛ يوشك أن يدخل عليه الكفر من حيث لا يشعر...فالله عز وجل أزلي قديم لا بداية لقدمه، دائم أبداً؛ لا نهاية لبقائه، صمد؛ لا تأليف لذاته ولا صورة له، قائم بنفسه سبحانه لا مكان له...»(٣).

فإذا علم كل عبد بضرورة عقله هذه الجملة من معاني التوحيد واعتقدها، وآمن بما جاءت به الرسل؛ دخل في الإسلام باعتقاد السالم من الشرك؛ فينجو من الخلود في النار، فإن لم يؤد الحقوق الواجبة عليه لربه وأضاعها- بعد انعقاد عقدة التوحيد في قلبه-؛ لزمه العقاب والأدب بالنار على ما ضيَّع من هذه الحقوق، وحرم من بلوغ السعادة القصوى، وإن أدى هذه الحقوق لربه- بعد انعقاد عقدة التوحيد في قلبه-؛ نال الثواب، وبلغ كمال السعادة(٤).

ولما كان اللجائي- مثل غيره من الصوفية- يرى أن التوحيد بهذا المعنى- التوحيد العقدي الإيماني- هو درجة العوام من الموحدين؛ الذين يحتاجون إلى الشواهد والأدلة؛ ليصح اعتقاد توحيدهم(٥)؛ فإنه ينتقل إلى الحديث عن درجة أخرى من التوحيد أعلى؛ يتشكل فيها معنى التوحيد بصورة أكثر يقينا وتثبيتا؛ عن طريق الذوق والوجدان، وهذه الدرجة هي درجة الفناء في التوحيد، أو التوحيد الصوفي، التي لا يرقاها إلا الخواص من العارفين؛ فيقول: « فالعارفون إذا صححوا اعتقاد توحيدهم؛ وجدوا لمولاهم في قلوبهم تعظيماً وإجلالاً، ولركوب ما نهاهم عنه خوفاً وخشية، ولما شوقهم إليه طمعاً ورجاءً؛ فتزايد رجاؤهم؛ حتى جدُّوا في الطلب، وفارقوا القنوط، وتزايد خوفهم من ركوب ما نهاهم عنه؛ حتى كأنهم باشروا عليه وفارقوا القنوط، وتزايد خوفهم من ركوب ما نهاهم عنه؛ حتى كأنهم باشروا عليه ألم العذاب؛ فهربوا من مواطن المخالفات، وفارقوا الأمن، وتزايد تعظيمه سبحانه في قلوبهم؛ فغشيتهم هيبته؛ حتى نسوا أنفسهم، وغابوا عن جنته وناره؛ من أجل ما غشي قلوبهم من إجلاله. فإنهم نزهوه عن النقص أولاً، وعظموه آخراً؛ فنالهم من خشيته؛ ما حال بينهم وبين معصيته، وحل من اليقين بقلوبهم، ما هوَّن عليهم مصائب دنياهم، وبدا منهم من الزهد، ما ألهاهم عن دنياهم وأخراهم، وأوصلهم تعظيمه؛ إلى حيث لا يرون في الوجود غير مولاهم »(٦).

فاللجائي- في هذا النص- يطلعنا على توحيد العارفين من الصوفية؛ الذين سلكوا مسلكا جديدا غير مسبوق؛ في الوصول إلى التوحيد بمعناه الخالص، مسلكا أضحى التوحيد فيه شعورا يحس

(١) اللجائي ، قطب العارفين ، ص ٤٧-٤٨ .
(٢) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٨٧ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٨٨ .
(٤) انظر: المصدر السابق ، ص ١٩٠-١٩١ .
(٥) انظر: أبو القاسم الجنيد ، في التوحيد ، ضمن رسائل الجنيد ، تحقيق علي حسن عبد القادر، القاهرة ، ١٩٨٨، ١٩٨٨، ص ٦١ . وانظر أيضا: الطوسي ، اللمع ، ص ٥٠ .
(٦) اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٩١-١٩٢ .

ويذاق، شعورا خاضعا لتجربة الفعل والممارسة، عن طريقه؛ يكتشف الإنسان حقيقة ذاته، بمقدار ما تنكشف لديه حقيقته الأصلية التي هي واحدة الذات(١).

فمعنى ومفهوم التوحيد عند اللجائي والصوفية، تطور معناه من توحيد، هو إقرار بوحدانية الله تعالى ومخالفته للحوادث، إلى توحيد هو إدراك ذوقي للامتناهي، في حالة شعور عميق بوحدة شاملة، تغيب فيها معالم فردية الصوفي وشخصيته، ولا يبقى ماثلا أمامه سوى الله(٢).

هذه الرتبة في التوحيد- توحيد الخواص من العارفين- عند اللجائي وغيره من الصوفية؛ لا يصل إليها العارفون؛ إلا بعد المرور بمرحلة من المجاهدة العسيرة للنفس، فإن زالت العلل التي تشين القلوب، واستغرقوا في النظر إلى مولاهم سبحانه بعين الحياء، والتعظيم والإجلال والهيبة والوقار والعزة والكمال والعلم والسلطان والقدرة والانفراد والغناء(٣)؛ وجدوا لمولاهم تعظيما وإجلالا؛ جعلهم يخافونه ويخشونه؛ فانتهوا عن ارتكاب ما نهاهم عنه، وهربوا من مواطن المخالفات، وفارقوا الأمن، ولتزايد تعظيمه سبحانه في قلوبهم؛ غشيتهم هيبته؛ حتى نسوا أنفسهم؛ فغابوا عن الطمع في جنته، والخوف من ناره(٤). بل إن تعظيمهم وهيبتهم لمولاهم؛ أوصلهم إلى الغياب عن رسومهم وصفاتهم، وعن كل ما يتأتى إدراكه ببصر أو بصيرة؛ فغابوا عن كل ما سواه، حتى عن أنفسهم وحالهم؛ فلم يروا في الوجود إلا الله وأفعاله(٥).

إنهم كما يقول اللجائي: « رأوا الملكوت بالمالك، ولم يروا المالك بالملكوت، فنوَّر الله عز وجل قلوبهم بنوره؛ فنظروا إليه به، ولم يترك فيهم نظرهم لمولاهم، فضلا ينظرون به إلى من سواه »(٦). وهذا هو الفناء في التوحيد، أو الوحدة الشهودية كما يطلق عليها الصوفية، وهي أعلى رتبة في توحيد الموحدين. وبالوصول إلى هذه الرتبة؛ يكون السالك قد حقق الغاية القصوى من سيره إلى الله تعالى .

(١) انظر: د/ مجدي محمد إبراهيم ، مقدمة تحقيقه لكتاب السر في أنفاس الصوفية ، ص٦٥ .
(٢) د/ أبو العلا عفيفي ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، ١٨٢ .
(٣) انظر: اللجائي ، قطب العارفين ، ص ١٣٤- ١٣٥ .
(٤) انظر: اللجائي ، شمس القلوب ، ص ١٩١-١٩٢ .
(٥) اللجائي ، قطب العارفين ، ص ١٤٠ ، ١٥٠-١٥١. وانظر أيضا: اللجائي، عين الحقيقة ، لوحة ٤٣.
(٦) اللجائي ، قطب العارفين ، ص ١٤٩ .

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة لموضوع المقامات والأحوال عند عبد الرحمن اللجائي؛ نستطيع أن نقول إن هذه الدراسة؛ أظهرت لنا عدة نتائج، يمكن إجمالها فيما يلي :

أولا: أن المقام والحال هما اصطلاحان، يستخدمهما الصوفية؛ للتدليل على تدرج السالك للطريق الصوفي من مكانة إلى أخرى، ولما يتعرض له في تدرجه هذا في المقامات من أحوال؛ حتى يصل إلى غايته المنشودة للسعادة، والتي سلك الطريق من أجلها، وهي معرفة الله.

ثانيا: اتضح من خلال هذه الدراسة، أن الصوفية يفرقون بين المقام والحال تفرقة دقيقة. فالمقام عندهم يتصف بالثبوت، أما الحال فزائل. والمقام يحصل للسالك؛ بكسبه وإرادته، على حين أن الحال وارد عليه، دون تعمد منه.

ثالثا: على الرغم من أن الصوفية قد اتفقوا على أن المقامات والأحوال، هي الموصلة لمعرفة الله تعالى ف إنهم اختلفوا في عددها وأوصافها، كما اختلفوا في ترتيبها؛ وذلك بسبب اختلاف تجاربهم؛ إذ إن كل سالك يصف لنا على حدة، منازل سيره، وحال سلوكه الذي سلكه في الوصول إلى الله تعالى؛ تبعا لما عايشه في تجربته إبان سلوكه للطريق، بحسب مواهبه وقدراته، واختلاف قواعد السلوك التي درج عليها في تربيته الروحية، من شيخ إلى آخر، ومن طريقة إلى أخرى.

رابعا: لما كانت المقامات والأحوال، تمثل جوهر الطريق الصوفي، الذي يسلكه المريد؛ للوصول إلى معرفة الله تعالى، فإن عبد الرحمن اللجائي اهتم بها اهتماما كبيرا؛ فبالنظر في مؤلفاته الصوفية، التي وصلت إلينا؛ نجده أفرد للمقامات والأحوال، العديد من الفصول والمباحث؛ ليقدم تصوره الخاص لها، فجاءت مبحثا رئيسا في هذه المؤلفات، وخصوصا في كتبه: قطب العارفين، وشمائل الخصوص، ومحجة السعادة، وشمس القلوب.

خامسا: لم يهتم اللجائي في ذكره للمقامات والأحوال؛ بتحديد وتعريف المقام والحال كل على حدة، كما أنه لم يفصل بينهما، ولم يذكر بينهما فروقًا، وساقهما جميعًا في كتبه مع بعضهما؛ وذلك يرجع إلى سببين: أولهما أن الفرق التقليدي بين المقام والحال- والذي أكده أغلب المتصوفة- والمتمثل في أن المقام؛ يُنال بالمجاهدة والكسب، والحال؛ يحصل بالوهب، عند اللجائي غير موجود؛ فكل ما ذكره من مقامات وأحوال؛ يعتمد على سرعة همة العبد ومجاهدته، والتوفيق من عند الله سبحانه وتعالى للعبد . وأما الثاني: فهو أن اللجائي اتفق مع السهروردي، وبعض المشايخ، الذين ذهبوا إلى صعوبة الفصل بين المقام والحال؛ لتشابههما في نفسهما وتداخلهما؛ فقد يكون الشيء بعينه حالاً، ثم يصير مقاماً أو العكس، فربما ترك اللجائي التفرقة بين المقامات والأحوال؛ تأكيدا لذاتية التجربة الصوفية التي يمر بها السالك وخصوصيتها؛ فنحا هذا المنحى العملي في بيان هذه المنازل والدرجات ، دون التفرقة بينهما؛ ولهذا جاءت المقامات والأحوال عنده متداخلة بعضها مع بعض ، غير واضحة وغير محددة العدد؛ وهذا واضح وجلي في مؤلفاته التي تحدث فيها عن المقامات والأحوال .

سادسا: أكد اللجائي أن الطابع الفردي للتجربة الصوفية، هو أساس التفاوت بين السالكين واختلافهم في تحصيل واجتياز هذه الدرجات والمنازل الروحية (المقامات والأحوال). فعلى قدر همة كل سالك في صقل القلب من كدوراته، وشموخ يقينه، وقوة إيمانه، وتوفيق الله له، تحصل هذه المنازل والدرجات عنده .

سابعا: التوبة هي أول بداية السالكين عند اللجائي ، إنها مفتاح الطريق للسائرين إلى الله، شرعها الله تعالى لعباده ،وجعلها فرض عين على الكافة؛ لتكون سترة لعورة أعمالهم، وطهارة لجناية

زللهم، وهدما لما مضى من ذنوبهم، وإصلاحا لما يأتي من أعمالهم مستقبلًا . وهي عنده، لا تنال ببذل المجهود، وإنما هي هبة ومنحة من الله تعالى؛ تستوجب الشكر له تعالى عليها.

ثامنا: الورع من المقامات الشريفة التي ينزل بها السالك عند اللجائي ؛ فهو ملاك الدين، وعبادة العبد؛ لا تتم إلا بحصوله، فالورع أساس العبادة ، كما يقول اللجائي، ومن لم يكن له ورع، فقيراً كان أو غنياً؛ فعبادته شبه بنيان لا أساس له؛ ولذلك وجب على العبد السائر إلى الله تعالى؛ أن يحرص على التحقق بالورع قبل أن ينتقل إلى المرتبة التالية، مرتبه الزهد. وهذا لايتم للعبد؛ إلا إذا تملك العبد الخوف من الله؛ إذ إن الورع- فيما يرى اللجائي- مشتق من الخوف، فعلى قدر خوف العبد من مولاه؛ يكون ورعه، فهناك ارتباط وثيق بين الورع والخوف، فمن قلَّ خوفه؛ قل ورعه؛ وذهبت هيبته؛ وسقط من عين الله تعالى؛ وأسقطه من قلوب خلقه. ومن تزايد خوفه من الله تعالى؛ تزايد ورعه بزيادة خوفه.

تاسعا: الزهد يعد أيضا من المقامات الشريفة المهمة عند اللجائي ؛ فهو أساس الطريق الصوفي كله، وحقيقته عند اللجائي؛ تتمثل في عزوف القلب عن الدنيا وإعراضه عنها، وتركه لها، ونظره إليها بعين التغيير والزوال، وذلك في حال وجودها وتملكها، لا فقدها وعدمه. إلا أن هذه النظرة لمفهوم الزهد في الدنيا عند اللجائي، لا تعني عنده العزوف عن الدنيا بالكلية، وإنما الاشتغال بها، مع التقليل من أمرها. فالزاهد في الدنيا، يجب عليه أن يأخذ من حلال الدنيا، ما يسد به جوعه، ويقيم به صلبه، ويستعين به على أداء فرائضه، لا أن يتركها بالكلية. واللجائي -بذلك- يؤكد الرؤية الإسلامية الخاصة لمفهوم الزهد؛ فهو ليس رهبانية أو انقطاعًا عن الدنيا، وإنما هو معنى يتحقق به الإنسان؛ يجعله صاحب نظره خاصة للحياة الدنيا، يعمل فيها ويكد، ولكنه لا يجعل لها سلطانا على قلبه، ولا يدعها تصرفه عن طاعه ربه.

عاشرا: التوكل عند اللجائي، يعد من أعلى مقامات اليقين، وأشرف أحوال المقربين، إنه عنده مقام قوي لا يرقاه إلا الأقوياء. وهو يعني تعلق القلب بالله وحده، والطمأنينة إلى كفايته في جميع الأمور؛ لأنه تعالى هو وحده المتفرد بالضرر والنفع. إنه ثمرة، ناشئة عن معرفة ويقين العبد بتوحد الرب بالنفع والضرر؛ إذ إن هذه المعرفة؛ تضطر العبد إلى التوكل عليه تعالى وحده ، وتفويض وإكالة أمره كله إليه، مع التبرئة من الحول والقوة لله تعالى وحده. ولقد أكد اللجائي أن التوكل على الله تعالى، لا يمنع ولا يتعارض مع الأخذ بالأسباب، والسعي في طلب الرزق، فالعبد المتوكل على الله؛ لا بد له أن يأخذ بالأسباب؛ فيسعى في طلب الرزق، ويستعد لذلك؛ بالحرفة وملازمة الجد والتعب؛ مع ضرورة معرفته ويقينه التام بأن الله تعالى قد ضمن الأرزاق لعباده، وقسمها بينهم في الأزل، ووقَّت أوقات اكتسابها ونيلها؛ فتسكن بذلك نفوسهم، وتطمئن إلى القسمة السابقة، وضمان الله عز وجل وكفالته؛ فيكون بذلك في أعلى مرتبة من مراتب المتوكلين.

حادى عشر: من مطالب همم السائرين إلى الله تعالى عند اللجائي، الأنس بالله، والوحشة مما سواه. والأنس عند اللجائي؛ يعني سكن القلب إلى الله، وفرحه وسعادته وتنعمه بذكر الله، والوحشة مما سواه؛ وذلك بالاعتزال عن الحظوظ العاجلة، إلا ما تمس إليه حاجة الاضطرار. والأنس بالله، من سمات أهل الولاية والمنزلة الرفيعة عند اللجائي، وهي منزلة لا يرقاها إلا من سكن قلبه لله وحده، فالقلب إذا سكن لله؛ تآنس به، وإذا سكن لغيره؛ توحش منه، وعلى قدر وحشة العبد من الخلق ونفوره منهم؛ يكون أنسه بمولاه. والأنس عند اللجائي، له علاقة وطيدة بالرجاء؛ ذلك لأن بداية الأنس- كما يقول اللجائي- هي نظر العبد إلى الله تعالى بعين الكرم، فيظهر منه الرجاء في كرمه وحسن الظن به، فيزيد الله تعالى من أجل ذلك البسط له، والبسط ضرب من الأنس، بل البسط غصن والأنس ثماره، وكلما تزايد نظر العبد إلى مولاه بعين الكرم وحسن الظن به؛ زاد

أنسه به على قدر علمه بكرمه ولطفه، فملاحظة كرم الله تعالى وجوده، مدارج بسائط الأنس، كما يقول اللجائي.

ثاني عشر: من ثمرات الأنس بالله، مقام القرب، الذي يعد من المقامات المهمة الضرورية، التي تلزم السائرين إلى الله تعالى عند اللجائي؛ ولهذا أوصى اللجائي كل سالك للطريق؛ أن يطلب هذا المقام، وأن يجتهد- ما دام حيا- في طلبه، وأن يصبر عليه؛ حتى يتحقق به. وهو يعني عند اللجائي، التقرب إلى الله تعالى؛ بالإقامة على الموافقة لأوامره وطاعته، والاتصاف في دوام الأوقات بعبادته، ومن علامات حصول هذا المقام للسالك عند اللجائي؛ سكن القلب لله وحده، والطمأنينة به، وفقد الاعتماد على غيره. وهي كلها علاماتـ يكاد مشايخ الصوفية يجمعون عليها.

ثالث عشر: المراقبة مقام مهم من مقامات السائرين إلى الله تعالى عند اللجائي؛ فهي من أفضل الطاعات التي تقرب العبد من ربه، بل هي أصل كل خير، يتقرب العبد به إلى ربه.وعن المراقبة يتشعب الحياء، الذي يمنع القلب من المخالفة بعد العلم والمُشَاهَدَةُ.

رابع عشر: الصبر عند اللجائي من المقامات المهمة والضرورية للسائرين إلى الله تعالى، إنه فيما يرى اللجائي، سفينة السالك التي يجب عليه أن يمتطيها في طريقه إلى الله؛ لتعينه على تحمل الصعاب والمشاق والشدائد والمحن، وكل ما لا يوافق هوى نفسه، مما فيه طاعة وموافقة . وهو يعني- عند اللجائي- قطع الجزع، واحتمال المكاره، ومفارقة الراحة، ولزوم الكد والاجتهاد، وهو مطلق على النعم والبلوى، فهو واجب في النعم؛ لئلا تكون النعم سبب غفلة العبد عن الله تعالى، أو تكون له عونا على معصية. وكذلك يجب الصبر على البلوى؛ كي لا يقع العبد في الجزع من مجاري الأقدار.

خامس عشر: الرضا أيضا من أشرف وأعلى مقامات الذاهبين إلى الله عند اللجائي، إنه- فيما يرى- من أشرف الطاعات، وأسمى العبادات، وهو من مقامات الصديقين، وسير العارفين، وهو- عنده- ثمرة ناشئة عن معرفة العبد ويقينه بحسن أفعال الله تعالى كلها، خيرها وشرها، نفعها وضرها. ويرتبط الرضا- عند اللجائي- بمقام الصبر، فالصبر- عنده- يؤدي إلى الرضا؛ لأن الصبر هو حبس النفس عن الجزع؛ الذي يؤدي إلى السخط، فإذا ذهب الجزع، وحصل الصبر؛ زال السخط؛ وحصل الرضا، وصار العبد مطيعا لربه؛ لأن الجزع والسخط معصية، والصبر والرضا طاعة.

سادس عشر: وكذلك الصدق من المقامات المهمة والضرورية للسائرين إلى الله تعالى عند اللجائي ؛ ذلك لأن جميع المقامات في السير إلى الله تعالى تقوم عليه، ولا يمكن الوصول إلى الحضرة الإلهية، إلا به. فالصدق سيف الله تعالى في يد السالك، يقطع به كل ما يعترض طريقه من عوائق في سيره إلى الله تعالى، ولولاه لما استطاع أن ينطلق في مدارج الترقي؛ ولكان معرَّضًا للوقوف والانقطاع؛ ولذا جعله اللجائي الأساس الذي تقوم عليه جميع الأعمال في السير إلى الله تعالى.

وعن الصدق يتفرع الإخلاص عند اللجائي، فالصدق أصل والإخلاص فرعه، وعلى قدر صدق العبد؛ يكون إخلاصه. والإخلاص يعني تصفية الأعمال من ملاحظة المخلوقين؛ وذلك بأن يقصد العبد من أعماله وجه الله تعالى، ولا يريد بها سواه، وهو محك صحة وفساد الأعمال كلها عند اللجائي؛ ولذلك فكل عمل لم يمازجه الإخلاص؛ فهو مردود على عامله، بل النار أولى به.

سابع عشر: وأيضا الخوف والرجاء عند اللجائي من أجلّ منازل الطريق، التي تلزم السائرين إلى الله تعالى، فهما بمثابة جناحين، يطير بهما العبد المؤمن في سيره إلى الله تعالى، فإن استويا؛

استوى السير، وإذا نقص أحدهما؛ لم يستو له السير. إنهما متلازمان، ولا يمكن التخلي عن أحدهما ، فالخوف؛ يقتضي الرجاء، فلا خوف للعبد بغير رجاء، فالعبد واجب عليه ألا يأمن مكر الله تعالى؛ بالخوف منه، وألا يقنط من رحمته؛ بالرجاء في رحمته وغفرانه. فالخوف يلزمه دائما الرجاء؛ لتبريد حرارة الخوف في القلوب؛ وحتى لا يفضي إلى القنوط .

ثامن عشر: من المقامات المهمة أيضا، والتي تلزم السائرين إلى الله عند اللجائي مقام الشكر، فالشكر لازم ضرورة للعبد في حق الرب عند اللجائي؛ لما أسبغ عليه من النعم، وحقيقة الشكر عنده؛ هي علم العبد، ومعرفته وإدراكه للنعم التي أنعم الله تعالى عليه بها، فبدون هذا العلم والمعرفة؛ لا يمكن أن يتم الشكر.

تاسع عشر: المحبة لله تعالى عند اللجائي من أهم المنازل التي تلزم السائرين إلى الله تعالى؛ ذلك لأنها أساس التجربة الصوفية، والمحرك الرئيس للطريق إلى الله . فهي أصل جميع المقامات والأحوال، فالمقامات كلها مندرجة تحتها، فهي إما وسيلة إليها، أو ثمرة من ثمراتها. والمحبة عند اللجائي، تعني عزوب القلب عن الكونين- عن نعيم الدنيا ونعيم الآخرة- والإقبال بالكلية على الله تعالى مكونهما، وصرف الهمة عن غيره . ولمحبة الله تعالى في القلوب- عند اللجائي- شواهد وعلامات، منها دخول العبد في خدمة مولاه جل شأنه، بعد معرفة إحسانه بطيب نفس، بلا وجود شدة أو صعوبة، وإيثار العبد لطاعة مولاه، وترك معصيته، والولوع بذكره تعالى، وكذلك محبة رسوله وأوليائه.

وأخيرا: يأتي الفناء في التوحيد غاية قصوى للسائرين إلى الله تعالى عند اللجائي ، فهو غاية سيرهم ومجاهداتهم، ومنتهى مآربهم، منذ أن وضعوا أقدامهم على أول الطريق. والفناء في التوحيد- عند اللجائي- هو درجة توحيد الخواص، التي لا يصل إليها العارفون، الذين استغرقوا في النظر إلى مولاهم سبحانه؛ فوجدوا لمولاهم تعظيما وإجلالا في قلوبهم؛ جعلهم يخافونه ويخشونه؛ فانتهوا عن ارتكاب ما نهاهم عنه، وهربوا من مواطن المخالفات، وفارقوا الأمن، ولتزايد تعظيمه سبحانه في قلوبهم؛ غشيتهم هيبته؛ حتى نسوا أنفسهم؛ فغابوا عن الطمع في جنته، والخوف من ناره. بل إن تعظيمهم وهيبتهم لمولاهم؛ أوصلهم إلى الغياب عن كل ما سواه، حتى عن أنفسهم وحالهم، فلم يروا في الوجود إلا الله وأفعاله. وهذا مأطلق عله الصوفية، الفناء في التوحيد، أو الوحدة الشهودية، وهي أعلى رتبة في توحيد الموحدين، وبالوصول إليها؛ يكون السالك قد حقق الغاية القصوى من سيره إلى الله تعالى.

المصادر والمراجع العربية :

١ــ إبراهيم (د/ مجدي محمد): التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ١ ، ٣٠٠٢ .

٢ــ ــــــــــــــــ: مقدمة تحقيقه لكتاب السر في أنفاس الصوفية، للإمام أبي القاسم الجنيد، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٤ .

٣ــ ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج): صفة الصفوة ، تحقيق الشيخ خالد طرطوس ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠١٢ .

٤ــ ابن الخطيب (لسان الدين): روضة التعريف بالحب الشريف ، تحقيق/عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

٥ــ ابن الدباغ (عبد الرحمن بن محمد الأنصاري): مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب ، تحقيق/ هيليموت ريتر ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٩ .

٦ــ ابن خلدون (شمس الدين أبو العباس): المقدمة ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٧ــ ابن شاهاور الرازى (أبو بكر عبد الله): منارات السائرين ومقامات الطائرين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط١ ، سنة ١٩٩٣ .

٨ــ ابن عجيبة (أحمد):معراج التشوف إلى حقائق التصوف ، تحقيق د/ عبد المجيد خيالي ، مركز التراث الثقافي المغربي ، الدار البيضاء ، سنة ٢٠٠٤ .

٩ــ أبو هنية (حسن): الطرق الصوفية دروب الله الروحية التكيف والتجديد في سياق التحديث ، ترجمة منى علي أبو ريان، مؤسسة فريدريش اليبرت، عمان، الأردن ، ٢٠١١ .

١٠ــ الأصفهاني (أبي نعيم): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج ١٠ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨ .

١١ــ التفتازاني (د/ أبو الوفا): مدخل إلى التصوف الإسلامي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

١٢ــ الثعالبي (عبد الرحمن): الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، ج ١ ، تحقيق أبو بكر محمد الغماري الإدريسي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ٢٠١٤.

١٣ــ الجامي (عبد الرحمن): نفحات الأنس من حضرات القدس ، القاهرة ، سنة ١٩٨٩.

١٤ــ الجرجاني (الشريف علي بن محمد): التعريفات ، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .

١٥ــ الجزار (د/ أحمد محمود): الإمام المجدد ابن باديس والتصوف ، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط ١ ، ١٩٩٩ .

١٦ــ ــــــــــــــــ: الفكر المصرى المعاصر والتصوف ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٧ .

١٧ــ ــــــــــــــــ: الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١ ، ٢٠٠٦ .

١٨ــ ـــــــــــــــــ: المعرفة عند صوفية الإسلام أبو سعيد بن أبي الخير نموذجا، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٣ .

١٩ــ ـــــــــــــــــ: فخر الدين الرازي والتصوف، منشأة المعارف، الإسكندرية ، سنة ٢٠٠٠.

٢٠ــ الجنيد (أبو القاسم): رسالة في التوحيد ، ضمن رسائل الجنيد ، تحقيق علي حسن عبد القادر، القاهرة ، ١٩٨٨ .

٢١ــ الجوزية (أبو عبد الله بن محمد بن القيم): طريق الهجرتين وباب السعادتين ، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي ، المجلد١ ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ط١ ، سنة ١٤٢٩هـ .

٢٢ــ ـــــــــــــــــ: مدارج السالكين ، ج ١ ، تحقيق وتعليق / محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط ٧ ، ٢٠٠٣ .

٢٣ــ الجيلاني (عبد القادر): الغنية لطالبي طريق الحق ، قدم لها وخرج آياتها محمد خالد عمر، ج٢ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٩٩٦.

٢٤ــ الخراز (أبو سعيد): ، كتاب الصدق ، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٨٨ .

٢٥ــ الخركوشي (عبد الملك): تهذيب الأسرار، تحقيق بسام محمد بارود ، أبو ظبي ، الإمارات ، ١٩٩٩ .

٢٦ــ الزركلي (خير الدين): الأعلام ، ج ٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١٥ ، ٢٠٠٢ .

٢٧ــ السهروردي (أبو حفص عمر بن محمد): عوارف المعارف ، ج ٢ ، تحقيق د/عبد الحليم محمود ، د/ محمود بن الشريف ، دار المعارف ، القاهرة، بدون تاريخ .

٢٨ــ السكندري (ابن عطاء الله): التنوير في إسقاط التدبير ، تحقيق/ محمد عبد الرحمن الشاغول، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٢ .

٢٩ــ ـــــــــــــــــ: تاج العروس وأنس النفوس ، تحقيق وتقديم محمد عبد الرحمن الشاغول ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ،٢٠٠٦ .

٣٠ــ السلمي (أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين): رسالة في غلطات الصوفية، تصحيح عبد الفتاح فاوي ، نشرت ضمن مجموعة آثار عبد الرحمن السلمي ، طهران ، ١٣٨٨ ه .

٣١ــ ـــــــــــــــــ: سلوك العارفين، تصحيح سليمان ابراهيم آتش ، نشرت ضمن مجموعة آثار عبد الرحمن السلمي ، طهران ، ١٣٨٨ ه .

٣٢ــ ـــــــــــــــــ: طبقات الصوفية ، حققه وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ .

٣٣ــ السلمي (عز الدين بن عبد السلام): الفتاوي الموصلية ، تحقيق إياد الطباع ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٩ .

٣٤ــ ـــــــــــــــــ: شجرة المعارف والأحوال ، تحقيق إياد خالد الطباع ، دار الفكر، دمشق، ط٢ ، سنة ١٩٩٦.

٣٥ــ الشعراني (أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد): الطبقات الكبري ، تحقيق أحمد السايح وتوفيق علي وهبة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ١، ٢٠٠٥ .

٣٦ــ ــــــــــــــــ: المنح السنية على الوصية المتبولية ، ضبطه وصححه وعلق عليه د/ عاصم الكيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٧.

٣٧ــ الصديقي (محمد بن علان): دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، ج١ ، اعتنى به /خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، ط ٤ ، ٢٠٠٤.

٣٨ــ الطوسي (السراج): اللمع ، تحقيق د/ عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة بمصر ، سنة ١٩٦٠ .

٣٩ــ العطار (فريد الدين): تذكرة الأولياء، ترجمة محمد الأصيلي الوسطاني، تحقيق محمد أديب الجادر، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، سورية ، ط١ ، ٢٠٠٩.

٤٠ــ الغزالي (أبو حامد):إحياء علوم الدين، ج ٤ ، المنجيات ، تقديم د/ بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة كرياطه فوترا ، إندونسيا ، بدون تاريخ .

٤١ــ ــــــــــــــــ: الإملاء على مشكل الإحياء ، تحقيق عبد المولى هاجل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٢٠.

٤٢ــ القاشاني (عبد الرازق): لطائف الإعلام في اشارات أهل الإلهام ، ج ٢، تحقيق سعيد عبد الفتاح ، مادة مقام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٥.

٤٣ــ القشيري (أبو القاسم): الرسالة القشيرية ، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف ، مطابع مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

٤٤ــ الكبري (نجم الدين): رسالة الأصول العشرة في الطريق، نشرها د/ قاسم السامرائي ضمن كتاب التصوف البغدادي والخراساني ، دار الوراق للنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٣ .

٤٥ــ الكلاباذى (أبو بكر): التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق/ محمود أمين النواوى ، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث – مصر ، ط٣ ، سنة ١٤١٣هـ -١٩٩٢م .

٤٦ــ اللجائي (أبي القاسم عبد الرحمن بن يوسف): شمائل الخصوص ، تحقيق: د/ آدم شاتاك وأحمد فورال ، مجلة التصوف، المجلد ٢١، عدد ٤٢، جامعة صباح زعيم بإستنبول، تركيا، ٢٠١٨.

٤٧ــ ــــــــــــــــ: شمس القلوب ، تحقيق د/محمد الديباجي ، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣.

٤٨ــ ــــــــــــــــ: قطب العارفين، تحقيق د/محمد الديباجي، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠١.

٤٩ــ ــــــــــــــــ: عين الحقيقة ،مخطوط بدار الكتب المصرية، ضمن مجموع، تصوف طلعت، تحت رقم ١٦٠٣.

٥٠ــ ــــــــــــــــ: محجة السعادة ، مخطوط بدار الكتب المصرية، ضمن مجموع، تصوف طلعت، تحت رقم ١٦٠٣.

٥١ــ المحاسبي (الحارث بن أسد): كتاب القصد والرجوع إلى الله ، نشره وحقق عبد القادر أحمد عطا ضمن مجموع للمحاسبي سماه الوصايا ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١ ، ١٩٨٦ .

٥٢ــ المقدسي (عز الدين عبد السلام ابن غانم): حل الرموز ومفاتيح الكنوز ، تحقيق د/ محمد بوخنيفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ٢٠١١ .

٥٣ــ المكى (أبوطالب): قوت القلوب في معاملة المحبوب ، ج ٢، تحقيق د/ محمود إبراهيم الرضواني ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط ١ ،٢٠٠١ .

٥٤ــ المهيني (محمد بن المنور): أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد ، ترجمة وتقديم د/ إسعاد قنديل ، الدار المصرية للتأليف و للترجمة والنشر ،القاهرة، ١٩٦٩ .

٥٥ــ الهجويري (أبو الحسن علي بن عثمان): كشف المحجوب ، ج ٢ ، ترجمة د/ إسعاد عبد الهادي قنديل ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٧ .

٥٦ــ الهروى (أبو إسماعيل عبد الله): منازل السائرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٨٨ .

٥٧ــ اليوسي (الحسن): المحاضرات في الأدب واللغة، ج ١ ، تحقيق محمد حجي ، وأحمد الشرقاوي ، دار الغرب الأندلسي ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٦.

٥٨ــ حلمي (محمد مصطفى): الحب الإلهي في التصوف الأسلامي، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٠.

٥٩ــ عبد الجبار (القاضي المعتزلي): شرح الأصول الخمسة، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة، القاهرة ، ط ١ ،١٩٦٥ .

٦٠ــ عبد الحميد (د/ عرفان): نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، دار الجيل ، بيروت، ط١ ، ١٩٩٣.

٦١ــ عفيفي (د/ أبو العلا): التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٣.

٦٢ــ كحالة (عمر رضا): معجم المؤلفين ، ج ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١، ١٩٩٣ .

٦٣ــ ماسينيون (لويس) ، مصطفى عبد الرزاق ، التصوف ، سلسلة كتب دائرة المعارف الإسلامية ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ .

٦٤ــ نيكلسون (رينولد): الصوفية في الإسلام ، ترجمة نور الدين شريبة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط ٢ ، ٢٠٠٢ .

ثانيا/ المراجع الأجنبية :

1-Adem Çatak, Ahmet Vural : ‘Abdurraḥman b. Yūsuf al-Lijā‘ī and the Critical Edition Taḥqīq of His Work Titled Shaemā‘il al-Khuṣūṣ’s , Tasavvuf Dergisi , Volume 21, Issue 42, İstanbul Sabahattin Zaim Üniversitesi, Türkiye ,2018 .

2- Happgold (F. C): Mysticism of a study and an antholgy, Printed in England by Clays Ltd, St Ives ple Set in Monotype Garamond,1970.

3- J. Nourbakhch, "Le Soufisme son but et sa méthode", in: God and Man in Contemporary Islamic Thought, Charles H. Malik, ed., American University, Beirut, 1972.

Al-Maqamat and Al-Ahwal of Abd Al-Rahman Al-Laja'i

(Died 599 AH.)

By

Dr. Yasser Albatanouni

Assistant Professor of Islamic Philosophy

Faculty of Arts, Menoufia University

Abstract:

This research examines Abd Al-Rahman Al-Lajai's opinions on Al-Maqamat and Al-Ahwal , as he paid great attention to them because they represent the essence of the Sufi way that the aspirant takes to reach knowong Allah.

Looking at the Sufi writings of Al-Laja'i that have come to us, we find that he specify many chapters and topics for it to present his own vision of it through his Sufi experience. It came as a major topic in these writings, especially in his books: Qutb al-Arifin, Shamael al-Khusus, The Pilgrimage of Happiness, and Shams al-Qulub.

Through this research, I aim to show this aspect of the Sufi thought of Abd Al-Rahman al-Laja'i, which expresses a deep Sufi experience that Al-Laja'i lived and recorded in his books to guide his followers in his way, as this aspect of his Sufi thought was not paid attention to by researchers before.

In this research, I depend on the analytical method, the critical method, and the comparative method. As for relying on the analytical method, that is; Because I analyzed the opinions of Al-Lajai', on Al-Maqamat and Al-Ahwal; through his writings. As for relying on the critical method, that is because I criticized some of his opinions on Al-Maqamat and Al-Ahwal, in which he moved away from moderation. As for relying on the comparative method, that is; Because - whenever possible - we compared the opinions of Al-Laja'i and other Sufis.

Keywore's:

(Al-Maqamat ؛ Al-Ahwal ؛ Al-Lajai' ؛ Sufi experience)